

"مُحَرَّق": بين مقولات المؤرخين ومعطيات الشعر

عرسان الراميني *

ملخص

في هذا المقال، يرفض الباحث الاعتقاد الشائع بأن لقب "محرق"، المتكرر ذكره كثيرا في الشعر الجاهلي، قد أطلق على عدد من الملوك ينتمون إلى غير عائلة عربية حاكمية. وهو يرى، في المقابل، أن هذا اللقب، حسب الأسبقية التي ورد فيها في الشعر القديم، لا يخص إلا ملوكا واحدا، وأن هذا الملك هو الحارث الأصغر الغساني، الذي حكم في آخر القرن السادس للميلاد. وللبرهنة على هذا الرأي، يفحص الباحث كل المادة الشعرية التي ذكر فيها محرق فنسبه الشراح إلى اللخميّين، ليصل بعد الفحص إلى أن محرقا في هذه المادة لا يمكن أن يكون ملوكا لخميا، وإنما هو أحد ملوك الغساسنة المتأخرين. ثم ينظر الباحث في الأدلة المتاحة محاولا تحديد هوية هذا الملك الغساني، ليستنتج أنه الحارث الأصغر بن عمرو أبي شمر بن الحارث الأكبر بن جبلة. وفي ضوء هذه النتيجة، يؤكد الباحث الحاجة إلى إعادة النظر في الارتباط السياسي لكثير من قصائد الشعر الجاهلي، فضلا عن مراجعة عدد من المقولات الخاصة بعلاقة القبائل العربية بكل من اللخميّين والغساسنة في المراحل الأخيرة من تاريخ هاتين العائلتين المالكتين.

مقدمة

يشيع لقب "محرق" شيوعا واضحا في الشعر الجاهلي وشروحه. فالشعراء يذكرونه بوصفه ملكا من ملوك العرب، دون أن يحددوا هويته؛ وشارحو الشعر، من جانبهم، يعدونه لقباً يطلقه الشعراء في العادة على بضعة من ملوك آل نصر في العراق وآل جفنة في الشام. فهو يطلق، من وجهة نظرهم، أولا، على مؤسس العائلة اللخمية المالكة بالحيرة، امرئ القيس بن عمرو، المعروف أيضا بـ "البدء"؛ وثانيا، على جد غساني اسمه الحارث بن عمرو يحتل مكانه في بداية سلسلة نسب الغساسنة، مع اختلاف (شكلي كما يبدو) في نسبه: هل ينحدر من عمرو بن عامر مزريقاء، أم من جفنة بن عمرو بن عامر مزريقاء، جد آل جفنة، أم من ثعلبة ابن جفنة هذا؟ وثالثا، على عمرو بن هند اللخمي، وهو، حسب الاعتقاد الشائع⁽¹⁾، ابن المنذر بن ماء السماء، ملك الحيرة في أواسط القرن السادس للميلاد (554-569م)، وتسميه بعض الروايات "محرقا الأحدث"⁽²⁾، وبعضها يسميه "محرقا الثاني" تمييزا له من جده امرئ القيس بن عمرو، محرق الأكبر، كما

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2009.

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة اليرموك، أربد، الأردن.

يدعوه ابن سيدة⁽³⁾؛ ورابعاً، على جفنة بن المنذر بن الحارث بن جبلة، تبعا لابن خلدون⁽⁴⁾، أو جفنة بن النعمان بن الحارث بن جبلة تبعا للخرزجي⁽⁵⁾.

هذه الأسماء الخمسة هي التي تظهر في التعليق على الشعر ذي الصلة. لكن هناك، في الوقت نفسه، رواية منزلة في معجم البلدان⁽⁶⁾ يظهر فيها واحد من أبناء الحارث بن عمرو الكندي ملقباً بـ "بمحرق" ومتولياً حكم قبائل تميم وضبة نيابة عن أبيه، لكن من غير أن يكون لهذه المعلومة علاقة بشعر معين.

وعلى الرغم من شيوع هذا اللقب في الشعر وفي المرويات الجاهلية عموماً، فإن معلوماتنا عن أصحابه محدودة جداً. فمن بين هؤلاء "المحرقين" جميعاً لا نعرف شيئاً خارج الروايات السابقة إلا عن ملكي الحيرة امرئ القيس بن عمرو، وعمرو بن المنذر بن ماء السماء. ومن الطريف أن كليهما ورد اسمه في الكتابات القديمة: فقد ورد اسم الأول في "نقش النمارة" المشهور، المدون سنة 328م⁽⁷⁾، في حين ورد اسم الآخر في نقش Ry 506⁽⁸⁾. ويمكن أن ينضاف إليهما جفنة بن النعمان/ المنذر إذا كان هو نفسه جفنة الذي يظهر في نصين أحدهما سرياني والآخر عربي⁽⁹⁾؛ فهو يظهر في الأول في أحداث سنة 587م بوصفه فيلارخا يتوسط لحل خلاف بين جماعتين منوفيسيتين، ويظهر في الثاني في أحداث سنة 591م بوصفه ناقلاً لرسائل بين الإمبراطور البيزنطي موريس والإمبراطور الفارسي خسرو الثاني أبرويز.

وبالنسبة إلى سبب اللقب، فالأخباريون ينسبون إلى هؤلاء الملوك أعمال تحريق ارتكبوها ضد أهداف معادية، لكننا لا نعرف تفاصيل هذه الأعمال، سوى ما يقال، أولاً، من أن امرأ القيس بن عمرو سمي "محرقاً" لأنه كان يسم بالنار وجة كل من يظفر به من الملوك⁽¹⁰⁾، ومن أن عمرو بن هند سمي كذلك لأنه أحرق مائة رجل من تميم كان أسره في يوم أواره الثاني، أو لأنه أحرق نخل قرية "ملهم" باليمامة⁽¹¹⁾، وثانياً، من أن جفنة بن النعمان/ المنذر بن الحارث بن جبلة أغار على الحيرة حين كان النعمان بن المنذر غائباً عنها، فحرق فيها⁽¹²⁾.

على أن الاتجاه السائد قديماً وحديثاً في لقب "محرق" أنه ذو صلة لخمية، لا غسانية. فهو يظهر بهذه الصلة في كل شروح القدماء على الشعر الجاهلي والإسلامي ذي العلاقة؛ وفي العصر الحديث، تأكد هذا الاتجاه بداية في الدراستين اللتين أجراهما كل من Rothstien و Noldeke في أواخر القرن التاسع عشر حول الغسانية واللخميين على التوالي. فقد شك الأول⁽¹³⁾ في صحة إطلاق اللقب على بعض ملوك آل جفنة، في حين أكد الثاني⁽¹⁴⁾ أن اللقب خاص بأحد أمراء الحيرة، وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء. وفي التعليقات على شروح نقائض جرير والفرزدق،

حيث ورد ذكر محرق مرارا سواء في النقائض نفسها أو في الشعر الجاهلي المقتبس خلال الشروح، يرد Bevan صدى ما جاء على لسان كل من Noldeke و Rothstien حين يقول في تعريف "محرق" ⁽¹⁵⁾ "an obscure term applied to the Lakhmite kings of al-Hira, who are called Al Muharriq, and in particular to 'Amr b. al-Mundhir." وفي العمل الموسوعي "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" ⁽¹⁶⁾، تبني جواد علي مقولة الانتماء للخلي لمحرق، ثم راحت هذه المقولة تظهر في كل الدراسات اللاحقة عن اللخمييين، وفي كل الشروح الحديثة على القصائد القديمة التي يرد فيها ذكر محرق. ومهما يكن من أمر، فالدارسون المحدثون لم يبنوا رأيهم على بحث خاص في المسألة، وإنما تأثروا برواية شائعة في المصادر ⁽¹⁷⁾.

إزاء ذلك، يسعى البحث الحالي إلى التحري عن شخصية محرق في شعر الشعراء الذين ذكره، لما لهذا التحري من قيمة، أولا، في تحديد الارتباطات السياسية لهؤلاء الشعراء، وبالنتيجة، لقبائلهم، وثانيا، في الوصول إلى فهم أفضل لأشعارهم ووضعها في أسيقتها الصحيحة. وليس من الممكن، بالطبع، تقديم رأي علمي في الروايات الخاصة بإطلاق اللقب على مؤسسين للعائلات العربية المالكة، إذ إننا لا نملك، هنا، أية آلية للفحص والتحقق، حتى في أدنى المقاييس. فالكتابات القديمة لا تسعف في هذه الحالة، والشعر الجاهلي الموثوق، وهو أداة ناجعة لممارسة النقد، متأخر جدا عن زمن قيام مملكتي آل نصر في العراق وآل جفنة في الشام. ومع ذلك، يمكن المغامرة بنفي صحة تلك الروايات، إذ يبدو أن ورود عبارة "آل محرق" في الشعر هي التي حملت بعض الشراح على الالتفات إلى الجد الأول للعائلة المالكة من أجل تفسير اللقب، غير مكتفين بذكر ملوك عاشوا قريبا من ظهور الإسلام؛ فإذا كان هذا ما حملهم على ذلك فهو غير مقنع، لأن "آل" تضاف إلى مؤسسي عائلات فرعية داخل العائلة الرئيسية، فيقال، مثلا، "آل المنذر" ⁽¹⁸⁾، نسبة إلى المنذر بن ماء السماء، الذي انحدر من صلبه ملوك آل نصر المتأخرين.

والفرضية التي يقوم عليها البحث الحالي تنص على أن محرقا الذي يذكره الشعراء الجاهليون ليس متعددا، بل واحدا، وأن محرقا هذا معاصر لهؤلاء الشعراء، لكنه ليس ملكا لخميا يتجسد في المنذر بن ماء السماء (ت 554م) ولا في ابنه عمرو (569م)، كما يعتقد الأخباريون وشراح الشعر، وإنما هو ملك غساني حكم في أواخر القرن السادس للميلاد، قبل حوالي عقد ونصف فقط من ظهور الإسلام. وسوف تمضي محاولة إثبات هذه الفرضية عبر ثلاث مراحل:

أولا، مراقبة الأشعار التي يذكر فيها محرق فيبدو لدى الوهلة الأولى، كما بدا لشراح الشعر، أنه ملك لخمى، وإثبات أن هذا مجرد انطباع أولي وأن "محرقا"، هنا، لا يمكن أن يكون ملكا لخميا؛

ثانياً، مراقبة سائر الأشعار التي يذكر فيها محرق فينسب في الشروح عادة إلى اللخميّين، لكن من غير دليل ألبتة، وإثبات أن "محرقاً" في هذه الأشعار ملك غساني، لا لخمى؛

ثالثاً، فحص الأدلة المتاحة لتحديد هوية الملك الغساني الملقب بـ "محرق".

أولاً: دعوى "الخمية" محرق لا تقوم على أساس

هناك ثلاث قصائد من منتخبات الشعر الجاهلي يرد فيها ذكر "محرق" في أسبقة يفهم منها لدى القراءة الأولى أنه ملك لخمى؛ وهي قصيدة دالية للأسود بن يعفر، وأخرى رائية للناطقة الجعدي، وثالثة قافية للممزق العبدى. ومن الواضح أن هذه القصائد هي التي حملت الأخباريين على نسبة محرق إلى اللخميّين. لكن عند إمعان النظر فيها يتبين أن هذا الفهم متسرع.

1) دالية الأسود بن يعفر

في المفضلية رقم 44 (بيت 5- 13) يصف الأسود بن يعفر حال الزمان وكيف يفنى رجاله وتقفّر منهم منازلهم، كما يعلق الثعالبي⁽¹⁹⁾؛ وخلال ذلك، ترد الأبيات التالية:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ سِوَى الَّذِي نَبَأْتَنِي	أَنْ السَّبِيلَ سَبِيلَ ذِي الْأَعْوَادِ
إِنْ الْمَنِيَّةَ وَالْحَتُوفَ كِلَاهُمَا	يُوفِي الْمَخَارِمَ يَرْقُبَانِ سِوَادِي
لَنْ يَرْضِيَا مِنِّي وَفَاءَ رَهِيْنَةٍ	مَنْ دُونَ نَفْسِي، طَارْفِي وَتِلَادِي
مَاذَا أَوْمُلُ بَعْدَ آلِ مُحَرَّقٍ	مَنْ دُونَ نَفْسِي، طَارْفِي وَتِلَادِي
أَهْلُ الْخَوْرَنَقِ وَالسَّدِيرِ وَبَارِقِ	وَالْقَصْرِ ذِي الشُّرَفَاتِ مَنْ سَنَدَادِ
أَرْضاً تَخِيْرَهَا لِدَارِ أَبِيهِمْ	كَعَبُ بَنِّ مَامَةَ وَابْنُ أُمِّ دَوَادِ
جَرَّتِ الرِّيَاحُ عَلَى مَكَانِ دِيَارِهِمْ	فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ	فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ
نَزَلُوا بِأَنْقَرَةٍ يَفِيضُ عَلَيْهِمْ	مَاءُ الْفَرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ

إن شهرة الخورنق والسدير بوصفهما قصرين كانا لملوك الحيرة جعلت المصادر⁽²⁰⁾ لا تتردد في تعريف "آل محرق" في قصيدة الأسود على أنهم ملوك آل نصر. والدراسات التي اهتمت بالأماكن الأثرية في العراق⁽²¹⁾ أكدت روايات المصادر إجمالاً حول الخورنق والسدير، وبيّنت أن الأول قصر بناه أحد ملوك الحيرة في أوائل القرن الخامس للميلاد للإمبراطور الفارسي في عهده، وأن الثاني قلعة لا تبعد كثيراً عن الخورنق؛ وكلا البنائين مشرف على الضفاف الغربية لنهر الفرات.

لكن هذه الدراسات بينت في الوقت نفسه أن الخورنق، بصفة خاصة، اسم لمنطقة تمتد على ضفاف الفرات شرقي النجف، وأن القصر سمي تبعا لها. وهذا يفسر اختلاف مصادر علماء البلدان⁽²²⁾ حول ما إذا كان الخورنق قصرا أو منطقة زراعية. ومن الجدير بالملاحظة أن الأعشى ميمون ابن قيس⁽²³⁾ يذكر الخورنق في شعره بوصفه منطقة زراعية كانت عوائدها تؤول للنعمان بن المنذر، ويجعلها مجاورة للسيلحين:

وتجبى إليه السيلحون ودونها صريفون في أنهارها والخورنق

والشيء نفسه يمكن استنتاجه، أولا، من عبارة للبكري⁽²⁴⁾ يقول فيها معرفا بأنقرة: "موضع يظهر الكوفة، أسفل من الخورنق، كانت إياد تنزله في الدهر الأول"، وثانيا، من عبارة للهمداني⁽²⁵⁾ نفهم منها أن بارقا مكان يقع في منطقة الخورنق ("فإلى بارق بالخورنق"). وابن خرداذبه⁽²⁶⁾، من جانبه، يذكر الخورنق بوصفها أرضا تقع في طسوج السيلحين؛ ومعلومته هذه مبنية على معطيات ديوان الخراج في عهد الخليفة المأمون⁽²⁷⁾. ولهذا، من الغريب أن يرى ياقوت الحموي تناقضا بين رواية تجعل الخورنق قصرا ورواية ثانية تجعله منطقة زراعية، فيرجح الأولى منهما، قائلا: "والذي عليه أهل الأثر والأخبار أن الخورنق قصر كان بظهر الحيرة"⁽²⁸⁾.

وبالعودة إلى أبيات الأسود بن يعفر، أعلاه، وقراءتها مرة ثانية، نجد ما يذكره من أماكن إنما يذكره من حيث علاقته بقبيلة إياد، لا من حيث علاقته بآل محرق. وهذا ليس فقط لأن كلمة "أهل"، في البيت الخامس، مبدلة من "إياد"، بل، وهو الأهم، أن الأسود بن يعفر، بعد أن يعدد أماكن الخورنق والسدير وبارق وسنداد، يصفها بأنها "أرض"، وبأن هذه الأرض تخير الاستيطان فيها سادة من قبيلة إياد يذكر أسماء بعضهم. ثم إن إشارته إلى العيش الرغيد الذي نعم به من نزل تلك الأرض من قبيلة إياد تدل على نمط حياة حضرية عاشها الإياديون هناك، وهو ما يؤكد الأعشى حين يشير في قصيدة أخرى⁽²⁹⁾ إلى استقرار جماعات من قبيلة إياد في منطقة "تكريت" وانخراطهم في فلاحه الأرض قبل أن يغزوهم كسرى ويشتتهم. وليس واضحا ما إذا كانت إشارة الأسود في البيت الأخير إلى نزول الإياديين في "أنقرة" وإلى انتفاعهم بماء الفرات وروافده تمثل وضعاً كان قائماً قبل هجرتهم أو بعدها، إذ هناك صعوبة في تحديد مكان "أنقرة" الذي يقصده الأسود بن يعفر⁽³⁰⁾. لكن، مع ذلك، تبقى هذه الإشارة مهمة من حيث إنها تؤكد أن الأسود بن يعفر، حين يذكر الخورنق والسدير وبارق، إنما يتحدث عن مناطق زراعية وعن أناس استقروا فيها واعتملوا الزراعة، وليس عن مقرات ملك كانت تنزلها أسرة حاكمة.

2) رائية النابغة الجعدي

إن قصيدة النابغة الجعدي التي يرد فيها ذكر محرق، في سياق لخمى في الظاهر، هي رأيته التي يقال إنه أنشدها في حضرة النبي — صلى الله عليه وسلم. وتجري أبياتها ذات العلاقة على النحو التالي⁽³¹⁾:

تَذَكَّرْتُ، وَالذَكَرَى تَهَيَّجَ لِذِي الْهَوَى وَمِنْ حَاجَةِ الْمُخْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
نَدَامَايَ عِنْدَ الْمُنْذِرِ بَنْ مُحْرَقٍ أَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ ظَاهِرَ الْأَرْضِ مَقْفَرَا

فورود اسم "المنذر" في هذه الأبيات كان كافياً، كما يبدو، لجعل المصادر⁽³²⁾ ترى أن النابغة يتحدث فيها عن أيام نعيم قضاهما في مجالس آل نصر قبل أن يزول ملكهم وتمحي آثارهم. فاسم "المنذر" يشيع بين أفراد العائلة اللخمية المالكة، وقد تسمى به أربعة من ملوكهم⁽³³⁾ آخرهم المنذر الثالث بن ماء السماء وابنه المنذر الرابع. ولذلك نجد الشراح، بعد أن اتفقوا على الهوية اللخمية للمنذر في شعر النابغة الجعدي، يختلفون في تحديد أي منذر هو: الثالث أم الرابع. وهذا الاختلاف أدى تلقائياً إلى التباين في تقدير عمر النابغة الجعدي، الذي عاش، كما يقول الذهبي "إلى حدود سنة سبعين [للهجرة]"⁽³⁴⁾. فمن اختار المنذر الثالث، كما يبدو، بلغ بعمر الشاعر مائتين وعشرين/ ثلاثين/ أربعين، سنة، ومن اختار المنذر الرابع، توقف في التقدير عند مائة وثمانين أو مائتي سنة⁽³⁵⁾.

ومما يلفت النظر في المرويات الجاهلية عموماً أن أعمار كثيرين من الشعراء وسادة القبائل تبلغ أرقاماً خيالية، قد تصل أحياناً إلى ثلاثمائة سنة وأربعمائة سنة، كما هو الحال مع عبيد بن الأبرص الأسدي وزهير بن جناب الكلبي⁽³⁶⁾، دون أن تثير مثل هذه التقديرات شكوكاً حقيقية عند الأخباريين وشراح الشعر. والنابغة الجعدي يمثل حالة مشابهة. وعلى أية حال، يذكر الأصمعي⁽³⁷⁾ في رواية قابلة للتصديق⁽³⁸⁾، أن النابغة الجعدي عمر حتى بلغ مائة وعشرين سنة، وهو ما يرجحه Nallino⁽³⁹⁾ بعد مناقشة للروايات ذات العلاقة. فإذا كان النابغة قد توفي في أوائل خلافة عبد الملك، في تسعينيات القرن السابع للميلاد⁽⁴⁰⁾، فهذا يعني، بالنظر إلى تقدير الأصمعي، وهو أعلى تقدير محتمل، أنه ولد في سبعينيات القرن السادس؛ وهذا يعني أن المنذر، في شعره، لا يمكن أن يكون المنذر الرابع، المتوفى حول سنة 580م، فضلاً عن المنذر الثالث، المتوفى سنة 554م. في الواقع، كانت مملكة اللخمين قد سقطت في مطلع القرن السابع للميلاد، حتى قبل أن يبلغ النابغة سناً تمكنه من الوفادة على الملوك أصلاً وإحراز المكانة الرفيعة التي تظهر في شعره. إذ في الأحوال العادية لا يحرز رجال القبائل مثل هذه المكانة قبل أن يبلغوا أواسط العمر.

وهكذا، إذا كان المنذر بن محرق، في قصيدة النابغة الجعدي، ليس ملكا من آل نصر، فيجب إذن أن يكون ملكا من آل جفنة⁽⁴¹⁾. ومن الطريف أن بعض الدليل على ذلك مائل في القصيدة نفسها. فالنابغة يتحدث فيها عن مجالس أنس ولهو كانت تجمعهم مع رفقاء له في حضرة من يسميه "ملك من آل جفنة". ففي هذه المجالس كان غلمان الملك الجفني يديرون عليه وعلى صحبه، كما يقول، اللحوم المشوية والخمور العراقية، ويوزعون الأرباط الشامية، والبرود الحضرية، وعطورا "من مسك دارين"⁽⁴²⁾:

لدى مَلِكٍ مِنْ آلِ جَفْنَةَ، خَالَهُ وَجَدَاهُ مِنْ آلِ امْرِئِ الْقَيْسِ أَزْهَرَا
يُنِيرُ عَلَيْنَا كَأْسَهُ وَشِوَاءَهُ مَنَاصِفُهُ وَالْحَضْرَمِيُّ الْمُحَبَّرَا
رَحِيقًا عِرَاقِيًّا، وَرَيْطًا شَامِيَا وَمُعْتَصِرًا مِنْ مِسْكِ دَارِينَ أَذْقَرَا

ومن الطريف أن هذه الأبيات لم تثر أية شكوك حول الاعتقاد بأن "المنذر ابن محرق" ملك لخمى، وذلك، كما يبدو، بسبب تواتر الربط بين "محرق" وآل نصر.

وهناك سبب آخر لاستبعاد أن يكون المنذر بن محرق في شعر النابغة الجعدي ملكا لخميا. فبنو عامر بن صعصعة، الذين ينتمي إليهم بنو جعدة، كانوا من أبرز أعداء الحيرة القبليين في الجزيرة العربية، وذلك في مقابل علاقتهم الوثيدة بالغساسنة. وقد بلغت هذه العداوة ذروتها في يوم جيلة المشهور، ولم تهدأ حتي سقوط مملكة الحيرة⁽⁴³⁾. وفي القصيدة السابقة نفسها⁽⁴⁴⁾ يعبر النابغة تعبيراً جلياً عن وحدة بني عامر في وجه خصومهم القبليين، ويفتخر بانتصاراتهم في يوم جيلة، وفي معارك أخرى خاضوها ضد قبائل أسد وتميم وبكر بن وائل. وفي ضوء هذا الوضع، يبدو اتصال النابغة الجعدي بملوك الحيرة احتمالا مستبعدا، حتى وهو في سن يتيح له مثل هذا الاتصال.

(3) قافية الممزق العبدى

ينشد الممزق العبدى قصيدته، وهي من مختارات الأصمعي⁽⁴⁵⁾، في حضرة ملك يدعوه "ابن محرق"، فيقدم له الولاء والطاعة، وفي الوقت نفسه، يستهجن تلويح رجل من أعوان الملك اسمه "ابن فرتنا" بغزو قومه عن غير جرم اقترفوه. وينفي الممزق للملك أن يكون لقومه صلة بإساءات ارتكبتها في حقه أناس آخرون، ويطلب منه أن يتولى بنفسه عقابهم إن كان لا بد من هذا العقاب، وألا يترك الأمر لابن فرتنا:

تَرْوُحُ وَتَغْدُو مَا يُحَلُّ وَضِيْنَهَا إِلَيْكَ ابْنَ مَاءِ الْمُزْنِ وَابْنَ مُحَرَّقِ
عَلَوْتُمْ مَلُوكَ النَّاسِ فِي الْمَجْدِ وَالتَّقَى وَغَرَبَ نَدَى مِنْ غُرُورِ الْعَزِّ يَسْتَقِي
وَأَنْتَ عَمُودُ الدِّينِ مَهْمَا تَقْلُ وَمَهْمَا تَضَعُ مِنْ بَاطِلٍ لَا يَلْحَقُ

وإنَّ يَجِبْنَوا تَشَجُّعُ وإنَّ يَبْخُلُوا تَجَدُّ
أَحَقًّا أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنْ ابْنَ فَرْتَنَّا
فإنَّ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ أَكَلِ
أَكَلْتُني أدواءَ قُومٍ تَرَكْتُهُمْ
فإنَّ يَتَهُمُوا أَنْجِدْ خِلَافًا عَلَيْهِمْ
فلا أَنَا مَوْلَاهُمْ ولا في صَفيَّةٍ

وإنَّ يَخْرُقُوا بِالْأَمْرِ تَفَضَّلْ وَتَفَرَّقْ
عَلَى غَيْرِ إِجْرَامِ بَرِيقِي مُشْرِقِي
وإلا فَادْرِكْنِي وَلَمَّا أَمَزَقْ
وإلا تدارِكْنِي مِنَ الْبَحْرِ أَغْرَقْ
وإنَّ يُعْمِنُوا مُسْتَحَقِّي الْحَرْبِ أَغْرَقْ
كَفَلْتُ عَلَيْهِمُ وَالْكَفَالَةُ تَعْتَقِي

وفي حين تتفق المصادر على أن "ابن محرق"، في هذا الشعر، ملك لخمى، فإنها تختلف في تحديد اسمه. فأكثر الروايات شيوعاً⁽⁴⁶⁾ ترى أنه عمرو بن المنذر الثالث بن ماء السماء، الملقب بـ "ابن هند"؛ وهناك رواية أخرى⁽⁴⁷⁾ تجعله النعمان بن المنذر الرابع، ورواية ثالثة⁽⁴⁸⁾ تجعله عمرو بن النعمان الأكبر، فتعود بالمرمق بضعة أجيال إلى الوراء. ولذلك، نجد ابن قتيبة⁽⁴⁹⁾ يؤثر، كما يبدو، عدم ربط القصيدة بملك معين من الملوك اللخمييين، فيستخدم، في تقديمها، عبارة "بعض ملوك الحيرة". ويبدو أن هذا الخلاف ناشئ عن تردد اسم "النعمان" و"عمرو" في شعر الشعراء العبديين بوصفهما ملكين تربطهما بقبيلة عبد القيس علاقة عدا. ولما كانت القبيلة تسكن في البحرين، وهي منطقة نفوذ تقليدية للحيرة، كان من الطبيعي ألا يتجاوز الأخباريون ملوك آل نصر، ليس فقط في تحديد هوية "ابن محرق" في شعر المرمق، بل في تحديد هوية أي ملك أو أمير يرد اسمه في أشعار العبديين عموماً، وبخاصة حين لا يكون هناك دليل ظاهر على صلة هذا الاسم بعائلة مالكة أخرى.

لكن على الرغم من اتفاق القدماء في جعل "ابن محرق"، في قصيدة المرمق، شخصية لخمية، فليس في هذه القصيدة ما يدل على أنه كذلك فعلاً. في الواقع، يبدو الأمر على النقيض تماماً، إذ تتضمن القصيدة ما لا يمكن معه أن يكون ابن محرق هذا ملكاً لخمياً. فحسب التقليد الذي يتبعه الشعراء الجاهليون في إنشاد قصائدهم بين يدي من يفدون عليهم من الملوك، يصف المرمق العبدى رحلته الطويلة إلى "ابن محرق"، ويصور ما لاقاه فيها من صعاب وما تجشمه من مشاق، مسقطاً ذلك كله على ناقته؛ وفي هذا السياق، تظهر إشارة مهمة كفيّة بأن تغير التفسير التقليدي لعبارة "ابن محرق". فالمرمق يذكر أنه استراح بمكان يدعى "جوا" وهو راحل إلى الملك:

أُيخِتَ بِجَوْ يَصْرُحُ الدِّيكُ عِنْدَهَا وَبَاتَتْ بِقَاعَ كَادِي النَّبْتِ سَمَلَقَ

فإذا كانت "جو" هذه التي أناخ فيها المرمق ناقته هي جو اليمامة كما هو معروف لدى البدانين، وكما ذكر الشنقيطي في تعليقه على هذه الأُصمعية⁽⁵⁰⁾، فلا يمكن أن يكون الشاعر

متجها إلى العراق عامة، فضلا عن الحيرة. فعبد القيس كانت كلها تقطن في البحرين، والمرتلح من البحرين إلى العراق لا يمر باليمامة، وإنما يمر بها المرتحل من هناك يريد الشام أو الحجاز، وفي بعض الأحيان اليمن. وهناك أماكن أخرى في الجزيرة العربية تسمى "جوا"⁽⁵¹⁾، مثل جو جواده، وجو ضبيب، وجو الملا، وجو مرامر، وسواها، لكن لا شهرة لها كجو اليمامة؛ وعلى أية حال، لا شيء من هذه "الأجواء" يقع في البحرين ولا في العراق، ولا في شرقي الجزيرة العربية عموما، بل كلها، كما يعدها ياقوت، تقع في نجد. ومن الطريف أن الأعشى، في إحدى قصائده في هوزة بن علي الحنفي⁽⁵²⁾، يستخدم تعبيراً مشابهاً لتعبير الممزق العبدى؛ فهو يقول، أيضاً وهو يصور المشاق التي كابدها ناقته في الرحلة إلى هوزة:

فلما أَتَتْ أَطَامَ جَوْ وَأَهْلِهِ أُنِيخَتْ فَأَلْقَتْ رَحْلَهَا بِفِنَانِكَ

وربما كان لتعريف "ابن محرق" في قصيدة الممزق بأنه "ابن ماء المزن" أثر في نسبته إلى اللخميين، إذ إن ملوك الحيرة المتأخرين ينحدرون من صلب المنذر الملقب بـ "ابن ماء السماء". غير أن هذا اللقب يصدق على ملوك آل جفنة مثلما يصدق على ملوك آل نصر، لأن جدهم الأول، عمرو بن عامر مزيقياء، يقال له هو أيضاً "ابن ماء السماء"⁽⁵³⁾. وهناك دليل آخر، وهو أن لقب "ابن المزن" يرد، أولاً، في شعر لحيان بن ثابت⁽⁵⁴⁾ يفتخر فيه بوحدة النسب بين قومه وملوك آل جفنة، وثانياً، في شعر للزبرقان بن بدر السعدي يفتخر فيه بعطايا ابن ماء المزن لسيد من عائلته؛ ولم يكن لقومه، بني سعد التميميين، علاقة حسنة بالحيرة في أية مرحلة من مراحل تاريخهم المنظور قبل الإسلام، في حين أقاموا علاقة وثيقة مع الغساسنة⁽⁵⁵⁾.

وهكذا، يتضح من فحص المواطن السابقة، التي يبدو فيها "محرق" ملكاً لخمياً عند النظرة الأولى، أن هذا الملك ليس كذلك في الحقيقة. بل إن فحص الأسبقية ذات العلاقة، وبالأخص، في قصيدتي النابغة الجعدي والممزق العبدى، يبين أنه ملك غساني. وقد يثير هذا الاستنتاج تساؤلاً، لا سيما فيما يتعلق بقصيدة الممزق، حول صلة الغساسنة بالبحرين وقبائلها، بحيث تدفع هذه الصلة بسيد من عبد القيس إلى الارتحال إلى ملك من آل جفنة في الشام يسترحمه في شأن قومه. هذا التساؤل يجيب عنه النابغة الذبياني⁽⁵⁶⁾، حين يستذكر، في مقام رثاء النعمان بن الحارث الغساني، حملاته العسكرية التي كان ينفذها في العراق والبحرين ضد قبائل من ربيعة.

ثانياً: محرق ملك غساني

من اللافت للنظر أن "محرقاً" حيثما ذكر في الشعر الجاهلي، فإنه لا يأتي منسوباً إلى أب أو جد أو عائلة أو مدينة أو حادثة؛ ومن الطبيعي أن يستنتج المرء من ذلك شيء أن العرب، آنذاك، كانوا يطلقون هذا اللقب على ملك واحد فقط. فلو كان سيتبادر إلى أذهانهم، عند إطلاقه، ملكان

أو أكثر، إذن لعمدوا إلى تمييز من يقصدونه عن طريق نسبته إلى شيء يميزه، وذلك كما فعل الحارث بن حلزة، مثلاً، حين ذكر الجون في معلقته⁽⁵⁷⁾ فنسبه إلى بني الأوس ("ومع الجون جون آل بني الأوس"). صحيح أن الشاعر قد يجد في السياق أو في المناسبة ما يغنيه عن التمييز، لكن السياق لا يسعف في جميع الأحوال. فمثلاً، حين يقول الأسود بن يعفر⁽⁵⁸⁾:

ماذا أؤملُ بعدَ آلٍ مُحَرَّقٍ تَرَكَوا منازلَهُمُ وبعدَ إِيادٍ

أو حين يقول متمم بن نويرة⁽⁵⁹⁾:

أفنين عاداً ثم آلٍ مُحَرَّقٍ فَتَرَكَنَهُمُ بلداً وما قد جَمَعُوا

أو حين يقول شاعر آخر⁽⁶⁰⁾:

كأنَّ عليه تاجَ آلٍ مُحَرَّقٍ بِأنَّ ضَرَ مَوْلَاهُ وَأَصْبَحَ سالماً

فإن السياق لا يكفي لمعرفة هوية "محرَق"، وهذا يعني، بكل بساطة، أن الشاعر لا ينتظر من أحد من سامعيه أن يسأله عن يقصد بهذا اللقب.

الآن، ليست قصيدتا النابغة الجعدي والممزق العبدى وحيدتين في دلالتهما على نسب محرق في غسان، بل تشاركهما في ذلك فعلياً كل الأشعار التي ذكر فيها محرق. فعند النظر في هذه الأشعار، وبالتحديد في أسئلة الأحداث ذات العلاقة، نجد صورة محرق تتخذ وجهين متنافرين من حيث العلاقة بينه وبين قبيلة الشاعر: وجهاً إيجابياً يتمثل في حسن هذه العلاقة، تماماً كما هي صورته في شعر النابغة الجعدي؛ ووجهاً سلبياً يتمثل في سوءها، تماماً كما هي صورته في شعر الممزق العبدى. وعند الرجوع إلى تاريخ الارتباط السياسي للقبائل المعنية، نجد أن قبائل الوجه الإيجابي كانت تربطها مع الغساسنة عشية الإسلام علاقة حلف، ومع اللخميين علاقة عدا، وأن قبائل الوجه السلبي، في المقابل، كانت تربطها مع الغساسنة علاقة عدا، ومع اللخميين علاقة حلف. وهذه الحقيقة العامة تشف في حد ذاتها عن العائلة المالكة التي يمثلها محرق، أي آل جفنة.

علاقة حلف

1) سهم بن مرة. ربما انطوت قصيدة مفضلية منسوبة إلى الحصين ابن الحمام⁽⁶¹⁾، وهو من بني سهم ثم من بني مرة الديانين، على دليل مباشر يؤكد أن محرقاً ملك غساني. ففي هذه القصيدة يفتخر الحصين بانتصار قومه بني سهم في يوم "درة موضوع" على إخوة لهم من ذبيان فيهم ناس من بني فزارة وعشائر أخرى من بني مرة؛ ومما قاله فيها:

جَزَى اللّهُ أَفْنَاءَ العَشِيرَةِ كُلِّهَا بِدَارَةِ مَوْضُوعٍ عَفْوَاقًا وَمَأْتَمًا
بني عَمَّنَا الْأَذْنَيْنِ مِنْهُمْ وَرَهْطَنَا فَرَارَةً إِذْ رَامَتْ بِنَا الحَرْبُ مُعْظَمًا
ولمَّا رَأَيْتِ الْوُدَّ لَيْسَ بِنَافِعِي وَأَنْ كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ مُّظْلِمًا
صَبَّرْنَا وَكَانَ الصَّبْرُ فِينَا سَجِيَّةً بِأَسْيَافِنَا يَقْطَعْنَ كَفًّا وَمِعْصَمًا
يُفْلَقْنَ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعْقَى وَأَظْلَمًا

ثم يستمر في الحديث عن شدة القتال بين قومه وأبناء عمومته إلى أن يقول:

لَدُنْ غَدُوَّةٍ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ مَا تَرَى مِنْ الْخَيْلِ إِلَّا خَارِجِيًّا مُسَوِّمًا
وَأَجْرَدَ كَالسَّرْحَانِ يَضْرِبُهُ النَّدَى وَمَحْبُوكَةً كَالسَّيْدِ شَقَاءَ صِلْدِمًا
يَطْأَنَّ مِنَ الْقَتْلِ وَمَنْ قَصَدَ الْقَنَا خِبَارًا فَمَا يَجْرِيْنَ إِلَّا تَجَشُّمًا
عليهن فِتْيَانٌ كَسَاهُمُ مُحَرَّقٌ وَكَانَ إِذَا يَكْسُو أَجَادَ وَأَكْرَمًا
صَفَانَحَ بَصْرَى أَخْلَصَتْهَا قِيُونُهَا وَمَطْرَدًا مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ مُحْكَمًا

فواضح من هذا الشعر أن فرسان بني سهم كانوا يقاتلون بعدة حرب جهزهم بها محرق⁽⁶²⁾ من بصرى الشام، حاضرة الغساسنة ومقر آل جفنة؛ أي أن محرقاً ملك غساني وأن يوم "دابة موضوع"، وهو حدث قريب من ظهور الإسلام، وقع في عهده. وإشارة الحصين إلى فزارة، وإلى "بني عمه الأذنين"، وهو يقصد، هنا، عامة بني مرة التابعين لسنان بن أبي حارثة، إنما تدل على سبب تحالف قومه مع الغساسنة. فهذه الجماعات الديبانية كانت موالية للحيرة، وفي الوقت نفسه، على عداء شديد مع الغساسنة، كما يتبين من أدلة موثوقة، منها أشعار للنابغة الذبياني⁽⁶³⁾ وزهير بن أبي سلمى⁽⁶⁴⁾. فبنو سهم لجأوا إلى الملك الغساني، كما يبدو، يطلبون دعمه في مواجهة عدو مشترك.

2) كلب بن وبرة. ينقل كل من أبي الفرج الإصفهاني⁽⁶⁵⁾ وابن المبارك⁽⁶⁶⁾ قصيدة منسوبة إلى زهير بن جناب الكلبي، يسجل فيها نصراً عسكرياً على فرع آخر من بني كلب، منوها باضطرابهم إلى قبول ما يسميه "الحق" بعد أن رفضوه قبل الحرب. وهو يفتخر بإحراز النصر على يد "رجراجة"، أي كتيبة ثقيلة السلاح، جهزها محرق بدروع محكمة النسيج:

أَبَى قَوْمُنَا أَنْ يَقْبِلُوا الْحَقَّ فَانْتَهَوْا إِلَيْهِ وَأَنْيَابُ مِنَ الْحَرْبِ تَحْرِقُ
فَجَاءُوا إِلَى رَجْرَاةٍ مَكْفَهَرَةٍ يَكَادُ الْمَدِيرُ نَحْوَهَا الطَّرْفَ يَصْعُقُ
سَيْوْفٌ وَأَرْمَاحُ بِأَيْدِي أَعَزَّةٍ وَمَوْضُونَةٌ مِمَّا أَفَادَ مُحَرَّقُ
فَمَا بَرَحُوا حَتَّى تَرَكْنَا رِئِيسَهُمْ وَقَدْ مَارَ فِيهِ الْمَضْرِحِيُّ الْمَذْلُوقُ

هذه الأبيات تذكرنا بأبيات الحصين بن الحمام، مع فارق، هنا، وهو أن شخصية زهير بن جناب ذات أبعاد شبه أسطورية⁽⁶⁷⁾، ليس فقط من حيث ما ينسب إليه من نوادر وإنجازات، بل أيضا من حيث ما يقال عن طول عمره. فكل الروايات تتبالغ في تقدير عمره، وبعضها يصل به إلى أكثر من أربعمائة سنة⁽⁶⁸⁾. ومع ذلك ليس هناك شك في حقيقة وجوده؛ ففي الإسلام مشاهير أكثر ينحدرون من صلبه؛ وتتبع سلاسل أنسابهم، يتضح أن زهيراً ينتمي إلى جيل أواسط القرن السادس للميلاد. فإذا أخذنا في الحسبان أنه من المعمرين حقاً، فيمكن القول إنه ظل نشطاً حتى نهاية ذلك القرن أو بداية القرن السابع. وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى معلومة لدى أبي عمرو الشيباني⁽⁶⁹⁾ ذات أهمية خاصة، تفيد بأن زهيراً اجتمع بأبرهة حين غزا هذا الأخير نجداً وبأن أبرهة أعجب بصحة منطقته وصواب رأيه، وفضله على جميع من أتاه من سادة القبائل. هذا الخبر مهم جداً من حيث إنه ينطوي على توافق مباشر مع نقش Ry 506⁽⁷⁰⁾؛ إذ يسجل هذا النقش حملة عسكرية قام بها أبرهة ضد أهداف لخمية في نجد في منتصف القرن السادس للميلاد. فإذا صح هذا الخبر، فهو يقدم الدليل على ارتباط زهير بالمعسكر البيزنطي الحبشي الغساني، ويكشف عن الخلفية السياسية لعلاقة زهير العدائية مع كل من غطفان وقريش⁽⁷¹⁾، وهم حلفاء للحيرة. يضاف إلى ذلك كله أن بني كنانة القضاعيين، قوم زهير بن جناب، وخصومهم من بني القين بن جسر، الذين يقصدهم زهير في أبياته تلك، كانوا جميعاً ينزلون بين الحجاز والشام، في مناطق دائرة تقليدياً في فلك النفوذ الغساني.

(3) ثقيف. إن التجهز بعدة حرب منسوبة إلى محرق يظهر مرة أخرى في مقطوعة من سبعة أبيات لكنانة بن عبد يا ليل، كما في رواية ابن هشام⁽⁷²⁾. إن يفتخر فيها كنانة بقومه ثقيف، وبدفاعهم عن الطائف ضد من يرومون انتزاعها منهم، وبتصديهم لكل من يريد ظلمهم حتى يرجع عن مراده؛ وفي هذا السياق، يقول:

علينا دلاص من تراث مُحَرَّق كلون السماء زينتها نجومها
نرفهها عنا ببيض صوارم إذا جردت في غمرة لا نعيمها

فكنانة يشير هنا إلى ملك غساني، ليس فقط بسبب صلة الثقفيين تاريخياً واقتصادياً بالشام، أو حتى بسبب وجود أدلة على تحالفهم مع الغساسنة عشية الإسلام كما تتضمن أحداث حرب الفجار⁽⁷³⁾، بل أيضاً لأن كنانة نفسه، وهو من سادة ثقيف، كانت تربطه بالغساسنة علاقة وثيقة، كما نفهم من كتب الصحابة. ففي ترجمته، يذكر ابن حجر⁽⁷⁴⁾ أن كنانة كان في وفد ثقيف الذين قدموا إلى المدينة بعد حصار الطائف ليفاوضوا النبي صلى الله عليه وسلم على الدخول في الإسلام؛ وينقل خبراً مفاده أن كنانة لم يدخل في الإسلام بعد حادثة الوفد، بل "توجه إلى الروم

فمات بها كافراً؛ وفي تأييد هذا الخبر، يقتبس ابن حجر معلومة من ابن عبد البر وردت خلال ترجمة هذا الأخير لحنظلة الغسيل⁽⁷⁵⁾، جاء فيها أن كنانة اجتمع بوالد حنظلة الغسيل، أبي عامر الراهب، بعد فرار هذا الأخير إلى الشام إثر فتح مكة، ونزوله في جوار الروم، وأن ميراث أبي عامر آل إلى كنانة بأمر من قيصر بعد أن نازعه فيه علقمة بن علاثة.

وعبارة "تراث محرق" في الأبيات السابقة تبدو ذات مغزى مهم، هنا. فهي تتضمن أن الذي زود ثقيف بالأسلحة ملك من خلفاء محرق؛ وهذا يتفق زمنياً مع جيل كنانة بن عبد يا ليل، وهو جيل البعثة، وينضاف، في الوقت نفسه، إلى الدليل على الانتماء الغساني لمحرق، إذ لم يكن للخميين وجود سياسي آنذاك.

(4) عامر بن صعصعة. تروي المصادر⁽⁷⁶⁾ خبر ملاحاة شعرية جرت بين عامر بن الطفيل ويزيد بن عبد المدان، وذلك في سياق الحديث عن ثارات بني عامر بن صعصعة مع بني الحارث بن كعب. وفي هذه الملاحاة، يذكر يزيد تبعية بني عامر لملك اسمه "محرق" ثم، بعد محرق، لملك اسمه "النعمان":

يا لَرَجَالِ لِطَارِقِ الْأَحْزَانِ وَلِعامِرِ بْنِ طُفَيْلِ الْوَسْطَانِ
كانت إِتَاوَةٌ قَوْمِهِ لِمُحَرَّقٍ زَمناً وَصَارَتْ بَعْدَ لِلنَّعْمَانِ

فيجيبه عامر بن الطفيل مستهجنًا تدخله، وهو المقيم بنجران، في شؤون بني عامر وفي ولائهم السياسي:

عجباً لَوَاصِفِ طَارِقِ الْأَحْزَانِ وَلَمَّا يَجِيءُ بِهِ بَنُو الدِّيَانِ
فَخَرُوا عَلَيَّ بِحُبُوبٍ لِمُحَرَّقٍ وَإِتَاوَةٌ سَيِّقَتْ إِلَى النَّعْمَانِ
مَا أَنْتَ وَابْنُ مُحَرَّقٍ وَقَبِيلِهِ وَإِتَاوَةٌ اللَّخْمِيِّ فِي عَيْلَانِ

ويشك Lyall⁽⁷⁷⁾، في صحة الأبيات المنسوبة إلى عامر بن الطفيل، ملتفتاً إلى ملاحظة لأبي الفرج⁽⁷⁸⁾ يصف فيها خبر الملاحاة بأنه من بين "أخبار ذكرتها عن ابن الكلبي موضوعة كلها، والتوليد بين فيها وفي أشعارها"، وينقل خبر الملاحاة نفسه في موطن آخر من كتابه (20: 21)، ثم يعلق عليه قائلاً "وهذا الخبر من مصنوعات ابن الكلبي، والتوليد فيه بين، وشعره شعر ركيك غث لا يشبه أشعار القوم." وقد يتعزز هذا الشك لدى الانتباه، أولاً، إلى المراوحة بين "محرق" و"ابن محرق" في تلك الأبيات، وثانياً، وهو الأهم، إلى عبارة "إِتَاوَةٌ لِلخمي"، التي تحدد هوية النعمان في شعر يزيد، متصادمة بذلك مع ما هو ثابت من علاقات بني عامر المتردية مع اللخميين. صحيح أن بني عامر دخلوا مرة في طاعة ملوك الحيرة المتأخرين، لكن ذلك حدث بعد

تطورات سياسية جعلت للخميين بلا منافس فعلي على النفوذ في أوساط القبائل، ودام فترة قصيرة فقط انتهت في منتصف حكم النعمان بن المنذر. بعد ذلك، عادت العداوة بين بني عامر والحيرة إلى سابق عهدها ووصلت ذروتها في يوم جيلة المشهور. ولهذا، يبدو من غير المحتمل أن يكون النعمان في شعر يزيد هو النعمان للخمى، لأن يزيد يجعل ولاء بني عامر لمحرق أقدم من ولائهم للنعمان، في حين كانت تبعيتهم للحيرة هي الأقدم. ومع ذلك، تظل الأبيات المنسوبة إلى عامر بن الطفيل جزءاً من الدليل على هوية محرق الغسانية. فواضعها يوظف، كما يبدو، معلومات كانت في جعبته عن التحول في ولاء بني عامر السياسي من اللخميين إلى الغسانية؛ وفي هذه المعادلة، يمثل محرق الطرف الغساني.

ويروي الإصفهاني⁽⁷⁹⁾ ليزيد بن عبد المدان مقطوعة أخرى من الشعر، لكنها هذه المرة ذات مستوى فني رفيع؛ وربما كانت من بين ما تم استلهاه في وضع الشعر السابق. ففي هذه المقطوعة يتضح، أولاً، أن بني عامر بن صعصعة كانوا حينئذ موالين للغسانية فعلاً، وثانياً، أنهم كانوا في فترة من الفترات قبل ذلك موالين للنعمان بن المنذر. ومن الطريف أن يزيد يعبر عن هذه الحقائق بوصفها شاهداً على معضلة واجهها النعمان بن المنذر مع بني عامر بن صعصعة: قربهم إليه وأسبغ عليهم نعمه، ومع ذلك، خذلوه ومنحوا ولاءهم للغسانية:

تمالا على النعمان قومٌ إليهم	مَوارِدُه في مَلِكِه ومَصارِدُه
على غير ذنبٍ كان منه إليهم	سوى أنه جادت عليهم مَواطِرُه
فباعدَهم من كل شرٍ يخافُه	وقربَهم من كل خيرٍ يُبادِرُه
فظنوا وأعراضُ الظنون كثيرةٌ	بأن الذي قالوا من الأمر ضائرُه
فلم يَنقُصوه بالذي قيل شعرةٌ	ولا فُلتت أنيابه وأظافرُه
وللحارثُ الجفني أعلمُ بالذي	ينوءُ به النعمانُ إن خَفَ طائرُه
فيا حار كم فيهم لنعمانُ نعمةٌ	من الفضل والمنّ الذي أنا ذاكِرُه
ذنوباً عفا عنها ومالاً أفاده	وعظماً كسيراً قومته جوابرُه
ولو سألَ عنك العائنين ابنُ منذرٍ	لقالوا له القول الذي لا يحاورُه

ليس من المناسب الآن الدخول في تحديد الاسم الحقيقي لكل من "محرق" و"ابن محرق" في ضوء الإفصاح عن هوية الملك الغساني الذي يخاطبه يزيد بن عبد المدان، لكن يجدر استرعاء الانتباه، هنا، إلى أن هذا الشعر قيل حول زمن ظهور الإسلام. فيزيد ينتمي إلى جيل البعثة النبوية، إذ صحب النبي صلى الله عليه وسلم وترأس وفد قومه إليه. وما يصدق عليه في هذا الصدد يصدق على عامر بن الطفيل أيضاً.

(5) سعد بن زيد مناة. هناك قواسم استراتيجية مشتركة بين بني سعد ابن زيد مناة، التميميين، وبني عامر بن صعصعة. فكلاهما كان عضوا في الائتلاف القبلي الذي لفقه الأحباش في غربي الجزيرة العربية بالتنسيق مع جستنيان وفوضوا أمره إلى كندة⁽⁸⁰⁾، وكلاهما وجد نفسه مرغما على الدخول في طاعة الحيرة، بعد خروج الأحباش من اليمن، وتصدع علاقة الغساسنة بالروم، وأخيرا، كلاهما تمرد على سلطة الحيرة، وبالنتيجة، خاض حروبا مع حلفائها في المنطقة⁽⁸¹⁾.

إزاء هذا الوضع يمكن أن نفهم بيتا من الشعر في مقطوعة للمخبل السعدي⁽⁸²⁾ يفخر فيه بعلاقة قومه المتميزة مع من يسميهم "محرق والحارثان":

وَمُحَرَّقٌ وَالْحَارِثَانِ كِلَاهُمَا شُرَكَائُنَا فِي الصَّهْرِ وَالْأَمْوَالِ

ويبدو أن المصادر لا تحتفظ بأية بمعلومات عن صلة المصاهرة تلك؛ أما الشراكة في الأموال فلربما ترمز إلى مناسبات احتاج فيها هؤلاء الملوك إلى عدد كبير من الإبل فأتاح لهم بنو سعد التصرف في أموالهم. وليس هناك مبالغة في فخر المخبل. فهذا البيت يتلو بيتا آخر ينوه فيه المخبل بعلو شأن بني سعد ومكانتهم الرفيعة لدى أبرهة الحبشي بحيث كان يستشيرهم في أمره ويصطحبهم في حروبه:

صَرَمُوا لِأَبْرَهَةَ الْأُمُورَ مَحَلَهَا حُبَابٌ فَانْتَقَلُوا مَعَ الْأَقْوَالِ

وقد ساعدت إشارة المخبل هذه في فك بعض رموز نقشي Glaser 618 و Ry 506⁽⁸³⁾، اللذين يسجلان أحداث حملتين عسكريتين قادهما أبرهة بنفسه في حضرموت ونجد، على التوالي؛ فقد اتضح أن "سعد" المذكورين نصا في النقش الأول، وضمنا في النقش الثاني، بوصفهم قوة رئيسية في جيش أبرهة، هم بنو سعد بن زيد مناة. وهكذا، إذا كان "الحارثان" ملكين من غسان، وهو ما يؤكد شعرا لحاتم الطائي، فلا بد أن يكون محرق ملكا غسانيا أيضا، وذلك بالنظر إلى منطق بيت المخبل، من جانب، وتوجه بني سعد السياسي، من جانب آخر.

ويظهر محرق مرة ثانية في شعر بني سعد، في أبيات منسوبة إلى الزبرقان بن بدر⁽⁸⁴⁾، لكن هذه المرة باسم "ابن ماء المزن"، وهو اللقب الذي يستخدمه الممزق العبدى في قصيدته المقتبسة أنفا. وهنا، أيضا، تتجلى صورة العلاقة الحسنة بين الطرفين:

وَبَرَدَا ابْنِ مَاءِ الْمَزْنِ عَمِي اِكْتَسَاهُمَا بِفَضْلِ مَعَدٍ حَيْثُ عُدَّتْ مَحَاصِلُهُ
رَأَاهُ كَرَامُ النَّاسِ أَوْلَاهُمْ بِهِ وَلَمْ يَجِدُوا فِي غَيْرِهِمْ مَنْ يَعَادِلُهُ

وهذا المعنى نفسه يردده الفرزدق في الإسلام، حين يقول ممتدحا بني سعد بن زيد مناة⁽⁸⁵⁾:

لَهُمْ وَهَبِ النِّعْمَانُ بُرْدَ مُحَرَّقٍ بِمَجْدٍ مَعَدٍّ وَالْعَدِيدِ الْمُحْصَلِ

وكما هو الحال في عموم المواطن التي يذكر فيها النعمان في الشعر الجاهلي، نجد الشراح يدعون هنا بأنه النعمان بن المنذر اللخمي. لكن صورة العلاقة بين بني سعد وملوك الحيرة المتأخرين تحول دون قبول هذا الادعاء، وتوجب القول إن المقصود، هنا، هو النعمان بن الحارث الغساني، المذكور بهذه الصيغة في شعر لزهير بن أبي سلمى يمدح به حصن بن حذيفة الفزاري⁽⁸⁶⁾:

أَبِي الضِّيمِ وَالنِّعْمَانُ يَحْرِقُ نَابَهُ عَلَيْهِ فَأَفْضَى وَالسَّيْفُ مَعَاظِلُهُ

6 دارم. على النقيض من بني سعد التميميين، كان إخوتهم بنو دارم حلفاء أقوياء للحيرة. وقد عبر هذا الحلف عن نفسه بجلاء شديد في يوم جيلة، وفيما تلاه من أحداث، وهو ما يتردد صده في شعر أوس بن حجر التميمي⁽⁸⁷⁾. لكن العلاقة بين الطرفين انقلبت رأسا على عقب في أواخر حكم النعمان بن المنذر، وانقلبت معها علاقة بني دارم بمن حولهم من القبائل. ففي حين اندلعت الحرب بينهم وبين القبائل الموالية للحيرة، كأسد وغطفان والرباب، فقد تغلبوا على خلافاتهم العميقة مع بني عامر ابن صعصعة ودخلوا معهم في حلف وثيق، على الرغم من أن دماءهم ما زالت تنزف من سيوف بني عامر، كما يقول بشر بن أبي خازم⁽⁸⁸⁾.

وهكذا، في ضوء هذا التحول في ارتباط بني دارم السياسي نستطيع أن نفهم بعض الإشارات إلى محرق في شعرهم، وبالتحديد، إشارة ترد في نقيضة للفرزدق⁽⁸⁹⁾ ضد جرير، وهو من كليب ثم من بني يربوع التميميين، وتتضمن افتخارا بالحلل التي كان يخلعها الملوك على سادة قومه:

وإنَّ ثيابَ الملكِ في آل دارم	وهم ورثوها لا كليب النواحق
ثيابُ أبي قابوسَ أورثها ابنه	وأورثناها عن ملوك المشارق
وإنَّا لتجري الخمر بين سراتنا	وبين أبي قابوسَ فوق النمارق
لدنَّ غدوةً حتى نروحَ وتاجه	علينا وذاكي المسك فوق المفارق
كليب وراء الناس ترمي رؤوسها	عن المجد ما تدنو لياب السراق
وإنَّ ثيابي من ثياب محرق	ولم أستعرها من معاع وناعق

إن كنية "أبي قابوس" في البيت الثاني من شأنها أن تمثل هزة كبيرة تنسف البحث الحالي من قواعده، لو كان المقصود بها النعمان بن المنذر اللخمي كما هو الاعتقاد الشائع في المصادر.

لكن البيت نفسه، لحسن الحظ، يتضمن في ذاته ما يستحيل معه أن يكون النعمان بن المنذر هو المقصود بهذه الكنية هنا. فالفرزدق واضح في قصده أن الذي خلع الثياب الملوكية على بني دارم هو ابن أبي قابوس وليس أبا قابوس نفسه، وأن ابنه هذا أحد ملوك المشارق، وأنه حاز تلك الثياب بعد وفاة أبيه. ومن الحقائق التاريخية الثابتة أن النعمان بن المنذر لم يعقب ملوكا، وأنه كان آخر ملوك آل نصر، وأن الفرس حين أقصوه عن الحكم في مطلع القرن السابع للميلاد، فوضوا شؤون الحيرة لإياد بن قبيصة الطائي، يديرها بالاشتراك مع حاكم فارسي الأصل، ثم في سنة 611م أسندوا إدارة الحيرة بالكامل إلى هذا الحاكم الفارسي الأصل⁽⁹⁰⁾. صحيح أن يزدجرد الثالث حين تولى العرش في سنة 632م بحث عن سليل للمنادرة، يقال أحيانا إنه ابن للنعمان بن المنذر يسمى "المنذر"، وطلب منه أن يستعيد ملك آبائه⁽⁹¹⁾، لكن هذه المبادرة كانت محاولة يائسة لاحتواء زحف النفوذ الإسلامي، ولم يكتب لها النجاح، وسقطت الحيرة في السنة نفسها في يد المسلمين.

إن إشارة الفرزدق تلك حرية بأن تحدث خلخلة في الدراسات الخاصة بتاريخ الجزيرة العربية وأدبها قبل الإسلام. فـ"أبو قابوس" كنية ترد كثيرا في الشعر الجاهلي، ولم يشك أحد أبدا، قديما ولا حديثا، في أنها للنعمان بن المنذر حصرا؛ وعلى هذا الأساس فهمت المرويات الجاهلية ذات العلاقة، من أشعار وأخبار، وتحدت ارتباطاتها القبلية والسياسية. وإلى أن تأتي دراسة تتصدى لهذه القضية فتعيد النظر في تلك المرويات وتحقق في كنية "أبي قابوس"، في ضوء بيت الفرزدق، لترى ما إذا كان النعمان بن المنذر قد تكنى بها هو الآخر حقا-- إلى أن تأتي دراسة من هذا النوع، يمكن أن نشير هنا إشارة سريعة إلى موطن واحد فقط من مواطن عديدة يصعب فيها التعامل مع "أبي قابوس" على أنه ملك لخمى. فالتملمس الضبعي، مثلا، يقول في إحدى قصائده مخاطبا ناqqته⁽⁹²⁾:

لن تسلكي سبلَ البوابةِ مُنْجدةً ما عاش عمرو وما عُمِرْتَ قابوسُ

فهو يأبى أن يركب ناqqته مرتحلا صوب نجد ما دام كل من عمرو وقابوس على قيد الحياة. ومن الواضح أن التملس لا يتحدث، هنا عن ملكين لخميين، وذلك بكل بساطة لأن قبيلته عبد القيس كانت بأسرها تقيم بالبحرين، ومن ثم، لا صلة لنجد بوجهته إلى الحيرة؛ وما دام الأمر كذلك فهو يقسم بالأمر بالرحل إلى ملكين مقيمين في الشام. وهذا يذكرنا بقصيدة الممزق العبدى، أعلاه، في إشارته إلى جو بوصفها من بين الأماكن التي أناخ فيها ناqqته وهو في طريقه إلى "ابن ماء المزن وابن محرق".

فالفرزدق، إذن، إنما يتحدث عن ملوك من آل جفنة حين يذكر أبا قابوس والنعمان ومحرق؛ وما دام ينسب ثياب الملك في الموطن نفسه، إلى "أبي قابوس" مرة، وإلى "محرق" مرة أخرى،

فمن المؤكد أن "أبا قابوس" كنية لمحرق. ووصفه هؤلاء الملوك بأنهم "ملوك المشارق" وصف مسوغ؛ فهو يصدق على الفترة التي وطد فيها بنو دارم علاقتهم بالغساسنة، وهي فترة تقع في عامتها بعد إقصاء اللخمين عن الحكم، حين خلت الجزيرة العربية من عائلات متوجة إلا من آل جفنة⁽⁹³⁾.

وهكذا، إذا كان محرق يظهر بمظهر الولي والمنعم والمتفضل في شعر قبائل ارتبطت بعلاقات وثيقة مع الغساسنة، فينبغي أن يكون، في هذه الحالة، ملكا غسانيا.

علاقة عداء

1) أسد. إن العداء المستحكم بين بني أسد والغساسنة واضح تماما في شعر الشعراء الأسديين، مثل عبيد بن الأبرص، وبشر بن أبي خازم وعمرو ابن شأس. وهذا العداء واضح أيضا في شعر النابغة الذبياني. وإذا كان شعراء بني أسد يتغنون بانتصاراتهم على الغساسنة، غير قادرين، في الوقت نفسه، على منع انتكاساتهم من أن تطل برأسها في استحياء في بعض أشعارهم، فإن النابغة الذبياني⁽⁹⁴⁾ يقدم صورة واضحة عن هذه الانتكاسات، وعن شدة التقتيل والتشريد، فضلا عن ذل الإسار والسب، مما كان يحل ببني أسد، حلفاء قومه ذبيان، نتيجة لحملات العقاب التي كان يشنها الغساسنة ضدهم.

ويظهر محرق في شعر بني أسد مرة واحدة فقط، لكنها كافية للدلالة على هذه العلاقة المتردية مع الغساسنة. ففي "الأشباه والنظائر"⁽⁹⁵⁾ يروي الخالديان، من غير شرح أو تعليق، مقطوعة لـ "أعرابي من بني أسد"، تجري على النحو التالي:

يا	قبر	بين	بيوت	آل	مُحَرَّقٍ	جادت	عليك	رواعِدُ	وَبُرُوقُ
هل	تتفَعَنُكَ	دمنة	مرعية	فيها	أداء	أمانة	وَحُقُوقُ		
ذهبتُ	بك	الأيامُ	عنا	بعدها	كادتُ	بك	الأرضُ	الفضاءُ	تضيّقُ
حتّى	السماءُ	فكنتُ	قربَ	نجومِها	ولئن	بلغتُ	نجومِها	لحقيقُ	

ويروي الإصفهاني⁽⁹⁶⁾ البيت الأول من المقطوعة نفسها متبوعا ببيت آخر لا يرد في رواية الخالديين، وهو:

أما البكاءُ فقلَّ عنك كثيرُهُ ولئن بُكيتُ فالبكاءُ حقيقُ

ويروي الإصفهاني أيضا⁽⁹⁷⁾ بيتا من قصيدة أخرى كان ابن جامع يغني بها، وبالشعر السابق؛ والبيت يقول:

يا قبرُ بين بيوتِ آلِ مُحَرَّقٍ عفا طرفُ القريةِ فالكتيبُ

ثم يقول، أي الأصفهاني: "الشعر لرجل من بني أسد يرثي خالد بن نضلة ورجلاً آخر من بني أسد كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء، فقتلها في سخطه عليهما، وخبر ذلك مشهور."

والخبر المشهور الذي يشير إليه الأصفهاني هو ما يذكره الأخباريون في تفسير بناء الغريين، وهما طربالان كالصومعتين بظاهر الكوفة، يرد اسمهما في سياق تدوين أحداث تعود إلى فترات مختلفة في الإسلام، من فتح العراق حتى بداية الخلافة العباسية. والواقع أن هناك روايات عديدة حول سبب بناء هذين الغريين؛ وفي كل منها يتجلى عمل الخيال ونزعة الأسطورة، بحيث تبدو مناقشتها بلا طائل. فهي تتفق فقط في أن باني الغريين ملك من الملوك، وفي أنه شيدهما على قبرين لرجلين قتلا، ثم تختلف، بعد ذلك، اختلافاً واسعاً في التفاصيل: في هوية الملك، وفي هوية الرجلين المقتولين، وفي سبب القتل. ومع أن كل الروايات تقريباً تجعل الملك عراقياً، مع اختلافها في هويته بين جذيمة الأبرش والمنذر الثالث بن ماء السماء وابنه عمرو وحفيده النعمان - وهو أمر طبيعي، أي القول بعراقية الملك، بالنظر إلى مكان الغريين - فهناك رواية منعزلة تسند بناء الغريين إلى الغساسنة. فابن الأثير⁽⁹⁸⁾ يذكر أن الذي بنى الغريين هو الحارث بن أبي شمر الغساني، وأنه بناهما على قبرين لولدين له قتلا غدرا في يوم عين أباغ؛ إذ سار إلى الحيرة بعد أن انتصر في هذا اليوم، كما يقول ابن الأثير، "فأنهبها وأحرقها ودفن ابنيه بها وبني الغريين عليهما."

وهذا العنصر الغساني في قصة الغريين يظهر مرة أخرى في "ذيل اللآلئ". فالميمني⁽⁹⁹⁾ يعلق على الرواية الشائعة التي تجعل لعبيد بن الأبرص الأسدي مكاناً في القصة، فتذكر أنه زار ملك الحيرة (المنذر) عمرو النعمان) فيما يسمى "يوم بؤسه"، فقتله الملك "وغرى بدمه الغريين" - يعلق عليها بقوله: "ويروى الخبر لعبيد مع أبي كرب الغساني".

والملاحظ أن روايات الغريين تفتقر، حتى في خطوطها العريضة، إلى أي شعر يؤيدها، سواء أكان هذا الشعر، في ظاهره، صحيحاً أم موضوعاً. لكن ليست هناك قصص في تاريخ العرب قبل الإسلام من نسج الخيال بالكامل. فوجود الغريين قرب الكوفة يفسر نزوع الروايات عموماً إلى تأطير القصة بإطار لخمى؛ والعلاقة الوثيقة بين بني أسد والحيرة تفسر عدم تعمد الملك اللخمي قتل الزعيمين الأسديين وتفسر أيضاً ندمه على فعلته حين أفاق من سكره. ولأن بناء طربالين على قبرين عمل ينطوي على تشريف لصاحبيهما، فقد كان لا بد للعنصر الغساني في القصة أن يظهر في الصورة التي ظهر فيها: الحارث بن أبي شمر يفقد ولدين له في حرب مع ملك الحيرة، فيحملهما على ظهر بعير ويسير بهما مئات الأميال ليدفنهما بالحيرة بعد أن يحرقها - وهو خيال

يستثمر كما يبدو إشارة عدي بن زيد، في بعض الشعر المنسوب إليه⁽¹⁰⁰⁾، إلى رجل يغير على الحيرة فيحرق فيها.

لكن ما الذي يمكن إعادة تركيبه من ذلك كله؟ إن قصة الغريين تنطلق أساسا من محاولة تفسير بضعة أبيات قيلت في رثاء سيدين من بني أسد⁽¹⁰¹⁾، يدعي الأخباريون أنهما صاحبا الغريين. وهذه الأبيات هي:

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِ بَنِي أَسَدٍ بَعْمَرُو بِنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ
فَمَنْ كَانَ يَغَيًّا بِالْجَوَابِ فَإِنَّهُ أَبُو مَعْقِلٍ لَا حَجَرَ عَنْهُ وَلَا صَدَدَ
أَثَارُوا بِصَحْرَاءِ الثَّوِيَةِ قَبْرَهُ وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَنَاءَى بِهِ الْبَلَدُ

إذا كانت هناك صلة حقا بين المراثيين في هذه الأبيات، من جهة، و"محرق" المذكور في الأبيات السابقة المنسوبة إلى "أعرابي من بني أسد"، من جهة أخرى، فالأولى أن تفسر هذه الصلة في ضوء العداوة التي كانت مستفحلة بين بني أسد والغساسنة. وينبغي ألا يحول دون هذا التفسير ذكر "صحراء الثوية"، الواقعة قرب الحيرة، إذ تبدو هذه العبارة مضافة في وقت لاحق حتى يتوافق النص مع مسرح قصة الغريين. ففي رواية ثعلب للبيت تحل "الريسيس" محل "الثوية"؛ و"الريسيس" واد في نجد لبني كاهل من بني أسد، حسب ابن دريد⁽¹⁰²⁾؛ و"القرية"، المذكورة في شعر أعرابي بني أسد، وردت في شعر منسوب إلى امرئ القيس بوصفها من مواضع جبل أجأ⁽¹⁰³⁾، وعند هذا الجبل كانت منازل أسد تجاور منازل طيئ.

والشراح يعدون "السيد الصمد" رجلا آخر غير عمرو بن مسعود (مع أن الرثاء في الأبيات اللاحقة يخص عمرو بن مسعود وحده)، ثم يختلفون فيه: هل هو خالد بن المضلل أم خالد بن نضلة؛ لكن هذا الاختلاف غير ذي قيمة هنا، منذ أن كان الرجلان، كما تدل أخبارهما، قد نشطا في أواخر القرن السادس للميلاد وأوائل السابع، وضلعا في ثارات بني أسد مع الغساسنة وحلفائهم في نجد؛ وهو ما يصدق أيضا على عمرو بن مسعود⁽¹⁰⁴⁾.

وهكذا، يبدو من المؤكد أن الإشارة في الأبيات السابقة إلى "قبر بين بيوت آل محرق"، والإشارة إلى مقتل "عمرو بن مسعود والسيد الصمد" ترتبطان كلاهما بأحداث العداوة بين بني أسد والغساسنة⁽¹⁰⁵⁾. ومن المؤكد، بالطبع، أن الشاعرين لا يتحدثان عن مناسبة واحدة، بصرف النظر عما يدعيه الأخباريون، وذلك لأن أحدهما يرثي سيذا مدفونا "بين بيوت آل محرق"، والآخر يرثي سيدين (إن لم يكن سيذا واحدا) مدفونين في ديار بني أسد. أما المدفون بين بيوت آل محرق، فإما أن يكون رهينة وضعه بنو أسد لدى آل محرق ضمانا لالتزامهم باتفاق

عقدوه معهم، فقتله هؤلاء، وهو الأرجح، وإما أن يكون أسيرا أخذه آل محرق في غزوة ضد بني أسد، ثم قتلوه بعد أن أخفقت المفاوضات لإطلاق سراحه. ومهما يكن من أمر، فكل الأدلة تشير إلى أن آل محرق هؤلاء ملوك من الغساسنة.

(2) يربوع. بطن قبلي كبير يؤلف مع بني دارم وحلفائهم البراجم عامة فرع حنظلة التميمي. ومع أن قبيلي يربوع ودارم قاتلا في صف واحد في يوم جيلة فإن تاريخهما في الجاهلية يدل على أن وحدتهما لم تعد قائمة بعد تأرجح سلطة اللخمين في نجد، وأن كلا منهما ظهر بعد يوم جيلة مستقلا عن الآخر، وأنهما ظلا كذلك حتى جاء الإسلام فاتحدا من جديد. في الواقع، يدل خبر "الردافة"⁽¹⁰⁶⁾، وما يتصل به من انتصار بني يربوع بطخفة، كما يقال، على جيش يقوده أمراء من الحيرة، على تردي علاقة اليربوعيين ببني دارم⁽¹⁰⁷⁾. وخبر الردافة مثقل بالمبالغات، على أية حال، وهو على العموم مضطرب ومتناقض⁽¹⁰⁸⁾، ومن المحتمل جدا ألا يكون للحيرة أدنى صلة به ولا بيوم طخفة؛ ولعل قيمته الوحيدة تكمن فيما يحتويه من دليل على الانقسام في صفوف بني حنظلة.

فيوم طخفة وقع بعد زمن من يوم جيلة، كما يستدل من الأشعار المتصلة به. أي أنه وقع بعد أن انسحب بنو دارم، برئاسة حاجب بن زرارة، من ائتلاف الحيرة القبلي في نجد، وعقدوا حلفا مع بني عامر، ودخلوا بذلك في معسكر الغساسنة كما تشير الأدلة، أعلاه. وبما أن بني دارم كانوا ممثلين في الجيش الذي أغار على بني يربوع بطخفة، كما نفهم من معلومة للبلاذري موثقة بالشعر⁽¹⁰⁹⁾، فإن هذا الجيش لا بد أن يكون غسانيا؛ وهذا الاستدلال يتعاضد، في ضوء ما انكشف من الانتماء الغساني لأبي قابوس، مع أبيات لزيد بن عمرو الرياحي (من بني يربوع) يقدم فيها يوم طخفة على أنه انتصار على أبي قابوس:

وكنْتُ إذا ما بابُ ملكٍ قرعتهُ	قرعتُ بأبائِ أولي شرفٍ ضخم
بأبناءِ يربوع وكان أبوهمُ	إلى الشرف الأعلى بأبائه يَنمي
همُ ملكوا أملاك آل مُحَرَّق	وزادوا أبا قابوس رغماً على رغم
وقادوا بكره من شهابٍ وحاجب	رؤوسَ مَعْد بالأزمة والخطم
علا جدُّهم جدُّ الملوك فأطلقوا	بطخفة أبناء الملوك على الحكم

و"أبناء الملوك" هؤلاء الذين يدعي زيد بن عمرو أن بني يربوع أطلقوهم وفقا لشرط اشتراطه إنما هي إشارة إلى أسر أمير اسمه قابوس، كما يفهم من قصيدة لشاعر آخر من بني يربوع في يوم طخفة⁽¹¹⁰⁾:

قَسَطْنَا يوم طخفة غيرَ شكٍ على قابوسَ إذ كره الصياحُ

وشعر اليربوعيين هذا يذكرنا بشعر الفرزدق آنف الذكر الذي يذكر فيه الحلل الملوكية التي ورثها ابن أبي قابوس عن أبيه، فخلعها على سادة بني دارم. وكما ظهر أبو قابوس في شعر الفرزدق ملقباً بـ "محرق"، فهو يتخذ اللقب نفسه في شعر زيد بن عمرو، كما هو واضح. وهذا يعني أن الشاعرين يتحدثان عن ملك واحد. فإذا كان هذا الملك غسانياً في شعر الفرزدق، فهو غساني في شعر زيد بن عمرو بالضرورة.

ومن الجدير بالملاحظة أن تضارب موقف بني دارم وبني يربوع من محرق يظهر جلياً في نقائض جرير والفرزدق. ففي حين يقدم الفرزدق صورة مشرقة للعلاقة بين قومه ومحرق، فإن جريراً، وهو من يربوع، يلح في التغني بانتصارات قومه على محرق، وذلك من نحو قوله⁽¹¹¹⁾:

ونحنُ صدعنا هامةَ ابنِ محرقٍ فما رقاتُ بعدُ العيونِ الدوامُ

وقوله⁽¹¹²⁾:

ونحنُ ضربنا هامةَ ابنِ محرقٍ كذلك نعصى بالسُّيوفِ الصَّوَّارمِ

وقوله⁽¹¹³⁾:

سبوا نسوةَ النعمانِ وابني محرقٍ وعمرانَ قادوا غنوةً بالخزائمِ

وحسب التحليل الحالي، ينبغي أن يكون "النعمان"، في هذا البيت الأخير، ملكاً غسانياً، هو على الأرجح النعمان بن الحارث، ممدوح النابغة الذبياني. أما "نسوته"، فإن لم يكن جرير يبالغ في الحديث عن إنجازات بني يربوع في يوم طخفة، فمن الأرجح أنه يشير إلى نساء كن في الجيش الغساني، بصرف النظر عن حقيقة نسبهن.

3) الرِّباب. وهو اسم لحلف من قبائل صغيرة تنحدر من أد بن طابخة، يضم ضبة بن أد، إلى جانب تميم، وعدي، وعوف، وثور، أبناء عبد مناة بن أد. وهذا هو الشكل الذي ظهر فيه حلف الرباب في التنظيمات الاجتماعية في الإسلام⁽¹¹⁴⁾. ومن الطريف أن حلف الرباب كان موجهاً ضد تميم، كما يدعي علماء النسب؛ والمقصود بتميم، هنا، بنو دارم أساساً. وتشير الأدلة إلى أن نشوءه يرتبط بالأحلاف القبلية التي ظهرت بعد يوم جيلة، حين تحالف بنو دارم مع بني عامر بن صعصعة ضد القبائل الموالية للحيرة⁽¹¹⁵⁾. وقد جاءت أحداث يومي النसार والجفار لتؤكد ولاء قبائل الرباب للحيرة، وبالضرورة، عداها للغساسنة. يضاف إلى ذلك أن بني ضبة ظهروا في بعض

الأخبار، الموثقة بالشعر⁽¹¹⁶⁾، موكلين بحراسة قوافل النعمان بن المنذر المتاجرة في عكاظ، ومنغمسين، بسبب ذلك، في ثارات مع بني عامر بن صعصعة.

ويمثل محرق في شعر الرباب حالة خاصة، من حيث إن هناك رواية تنسبه إلى آل جفنة، خارجة بذلك عن المنهج المألوف لدى الأخباريين في نسبة محرق، حيثما ذكر في الشعر، إلى آل نصر. وليست هذه الرواية بلا سند قوي، على أية حال. فهي ترد في خبر "يوم بزخة"⁽¹¹⁷⁾. وملخص هذه الواقعة أن ملكا غسانيا يدعى الحارث بن عمرو جمع جيشا كبيرا من إياد وتغلب وغيرهم من قبائل العرب "فمر ببني تميم فاستقبلوه وأعطوه الإتاوة.... ثم مر ببني ضبة فأرادهم على أن يؤدوا مثل ذلك فأبوا،" وقتلوه وعلى رأسهم زيد بن حصين بن ضرار الضبي، فأسروه وأسروا أبا له ثم قتلوهما. وفي هذا الانتصار يقول العائف الضبي، كما جاء في الخبر:

نِعْمَ الْفَوَارِسُ يَوْمَ جَيْشِ مُحَرَّقٍ وَهُمْ يُدْعَوْنَ يَالْ ضِرَارِ
زَيْدُ الْفَوَارِسِ كَرُّ وَابْنُ مُنْذِرٍ وَالْخَيْلُ يَطْعُنُهَا بَنُو الْأَحْرَارِ

ويبدو أن تصور الأخباريين ليوم بزخة مبني أساسا على شعر للفرزدق، يذكر فيه مناقب أخواله من بني ضبة، ومنها انتصارهم على محرق وأخيه وقتلها يوم بزخة⁽¹¹⁸⁾:

وَمُحَرَّقًا صَفَدُوا إِلَيْهِ يَمِينَهُ بِصِفَارٍ مُقْتَسِرٍ أَخُوهُ مُكَبَّلٌ
مَلَكَانِ يَوْمَ بَزَاخَةٍ قَتَلُوهُمَا وَكِلَاهُمَا تَاجٌ عَلَيْهِ مُكَلَّلٌ

لكن إشارة الفرزدق، هنا، إلى أسر محرق ينبغي أن تفهم بشيء من التوسع حتى تستقيم مع سائر الأدلة؛ إذ يبدو أن الفرزدق يطلق على أبناء محرق لقب أبيهم. فشعر بني ضبة المتعلق بالحادثة لا يتضمن ما يدل من قريب ولا بعيد على أن محرقا قتل في الحادثة. في الواقع، ربما دل هذا الشعر على أن محرقا لم يشهد القتال أصلا. فالعائف الضبي، في بيتيه السابقين، يذكر تصدي بني ضبة لما يصفه بـ "جيش محرق"، وهي عبارة تعني أن محرقا كان صاحب الجيش، دون أن يكون قائده بالضرورة. والأهم من ذلك أن عياض السدي، وهو من بني ضبة أيضا، يستخدم، في التغني بالمناسبة نفسها، عبارة "يزجيها الهمام محرق"⁽¹¹⁹⁾:

وَمِنْأَ حُمَاةِ الْجَيْشِ لَيْلَةً أَقْبَلَتْ إِيَادُ يُزْجِيهَا الْهَمَامُ مُحَرَّقُ

وَمِنْأَ حُمَاةِ الْجَيْشِ لَيْلَةً أَقْبَلَتْ إِيَادُ يُزْجِيهَا الْهَمَامُ مُحَرَّقُ

وهذه العبارة تدل على أن "محرقا" لا يقود الجيش، بل يقف خلفه يدفعه ويسوقه، أي هو الذي جهزه وأرسله.

وفي الإسلام، افتخر ذو الرمة⁽¹²⁰⁾ بالإنجاز نفسه، كما يبدو، فقال:

أخذنا على الجفرين آل مُحَرَّقٍ ولاقى أبو قابوس منا ومنذرُ

ومن الواضح أن ذا الرمة يتحدث عن أسر بعض آل محرق وعن المكروه الذي أصاب أبا قابوس ومنذرا بسبب ذلك. ويذكر أبو البقاء⁽¹²¹⁾ أن الملكين المأسورين في يوم بزاة افتديا نفسيهما؛ فإذا كانت معلوماته دقيقة، فمن المرجح أن بني يربوع وبني ضبة يتغنيان في الأشعار السابقة بانتصار مشترك أحرزوه في المنطقة التي تقع فيها طخفة وبزاة والجفرين، وهي أماكن متجاورة.

أما الدليل على أن هؤلاء الملوك من آل جفنة فعلا، فيمكن التماسه في قصيدة استشفاع موثوقة⁽¹²²⁾ منسوبة إلى عبد الله بن عنمة الضبي، أنشدها في حضرة من يدعوه "الحارث الحراب"، وهو ملك ظهر بهذا الاسم في مواطن أخرى في الشعر الجاهلي. فبعد أن يؤكد عبد الله بن عنمة طول باع الحارث الحراب وقدرته على الوصول إلى أعدائه، مهما بعدت بلادهم، وإلحاق الهزيمة بهم، يعتذر إليه عن عصيان "معاشر" من بني ضبة، واصفا إياهم باللؤم والغش، ومصورا كيف يرسفون في إساره وهم في أرذل حالة:

كَفَاكَ الإِلَهَ إِذْ عَصَاكَ مَعَاشِرُ ضَعَافٌ قَلِيلٌ لِلْعَدُوِّ عَتَاؤُهَا
صُدُورُهُمْ شَنْءَةٌ فَنَفَاسَةٌ فَلَا حُلَّ مِنْ تِلْكَ الصُّدُورِ قَتَاؤُهَا
بَأَيْدِيهِمْ قَرَحٌ مِنَ الْعُكْمِ جَالِبٌ كَمَا بَانَ فِي أَيْدِي الْأَسَارَى صِفَاؤُهَا
قَدْ اصْفَرَّ مِنْ سَفْعِ الدُّخَانِ لِحَاهِمُ كَمَا لَاحَ مِنْ هُدْبِ الْمَلَأِ جِسَاؤُهَا
لِئَامٌ مُبِينٌ لِلْعَشِيرَةِ غِشَّهُمْ وَقَدْ طَالَ مِنْ أَكْلِ الْغَثَاثِ افْتِنَاؤُهَا

ويعد هذا المنطق من التقاليد المتبعة في المجتمع القبلي في الجزيرة العربية عند الطلب إلى الملك، أو صاحب الشأن، أن يمن على القبيلة التي غزاها بأن يطلق سبائها وأسراها إكراما لمن لم يتورط منها في عصيانه أو يقتترف جنائية في حقه. ومن غير المهم الآن أن نعرف متى أوقع الحارث الحراب ببني ضبة: أكان ذلك قبل يوم بزاة أم بعده، لكن المهم أن تاريخ هذه الحادثة يعود إلى وقت قريب من ظهور الإسلام، لأن عبد الله بن عنمة الضبي، كما يخبرنا ابن حجر⁽¹²³⁾ صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد القادسية، ولأن من ذكروا الحارث الحراب سوى عبد الله بن عنمة، وهم ليبيد بن ربيعة⁽¹²⁴⁾ وحاتم الطائي⁽¹²⁵⁾ والعوام بن شوذب الشيباني⁽¹²⁶⁾، نشطوا حول ظهور الإسلام، ومنهم من أسلم وعاش ربحا من الزمن في الإسلام.

وهكذا، يتضح في ضوء المناقشة السابقة أن محرقا ملك غساني. فجميع الأدلة المستنبطة من الأشعار ذات الصلة بالغساسنة عموما، وبمحرق خصوصا، تشير إلى وضع لا يمكن أن يكون

محرق فيه إلا ملكا غسانيا. فهو يظهر في صورة مشرقة في شعر القبائل ذات الارتباط الغساني، وفي المقابل، يظهر في صورة مظلمة في شعر القبائل ذات الارتباط اللخمي⁽¹²⁷⁾. وليس هناك في الأدلة المتاحة أية فجوة مهما صغرت يمكن أن ننفذ منها إلى احتمال أن تكون الحقبة التاريخية التي سبقت ظهور الإسلام قد شهدت أي ملك عرفته القبائل بلقب "محرق" غير محرق الغساني.

ثالثا: محرق هو الحارث الأصغر

الآن، من هو الملك الغساني الملقب بـ "محرق"؟ للإجابة عن هذا السؤال، ينبغي في البداية إرساء بعض الثوابت، أولها اعتماد نتائج نولدكه حول تسلسل ملوك الغساسنة المتأخرين وتقدير فترات حكمهم. والمراد بملوكهم المتأخرين أولئك الذين حكموا منذ أواخر القرن السادس للميلاد بعد رأب الصدع الذي أصاب علاقة آل جفنة ببيزنطة في أعقاب ثورة المنذر ابن الحارث بن جبلة وابنه النعمان. ومع أن تقييم نولدكه لسير علاقات الغساسنة ببيزنطة ولفاعلية مملكتهم في أعقاب تلك الثورة قد خضعت لمراجعة جذرية عموما، فإن نتائج تحرياته الخاصة بتعاقب ملوكهم وفترات حكمهم لم تزل موضع تقدير. وقد أجرى نولدكه تحرياته إزاء سيل من الروايات المضطربة والمتناقضة، ووصل إلى نتائج أكد قيمتها عرفان شهيد، أبرز الباحثين الغربيين في تاريخ العلاقات البيزنطية العربية.

وثاني هذه الثوابت يتعلق بزمان الأشعار التي ظهر فيها محرق بوصفه على رأس الحكم في مملكة الغساسنة. فهذه الأشعار تعود جميعها إلى عشية ظهور الإسلام، أي إلى الجيل السابق لجيل البعثة النبوية. وللتدقيق أكثر، فإنها تعود إلى مرحلة ما بعد يوم جبلة؛ وقد وقع هذا اليوم في وقت مبكر من تسعينيات القرن السادس للميلاد على أقدم احتمال، دحك من التواريخ المبكرة جدا التي يقترحها كل من أبي عبيدة وابن الكلبي⁽¹²⁸⁾.

وثالث هذه الثوابت يتصل بعبارة "آل محرق". فقد ظهرت هذه العبارة كثيرا في الأشعار ذات العلاقة، سواء في معرض الحديث عن أعمال حربية أو في معرض الدعوة إلى الاعتبار بفناء ذوي النفوذ والسلطان. وعلى أساس هذه العبارة، يتحتم أن يكون محرق مؤسسا لعائلة مالكة، أي ملكا انحدر من صلبه ملوك.

بناء على الثوابت السابقة، تتقلص الاحتمالات حتى تقتصر مبدئيا على ثلاثة ملوك هم الحارث الأصغر وولده النعمان وعمرو، اللذان حكما بعده على التوالي. فالحارث الأصغر، وهو أحد ممدوح النابغة الذبياني، حكم في تسعينيات القرن السادس للميلاد واستمر حكمه حتى نهاية ذلك القرن أو مطلع القرن اللاحق⁽¹²⁹⁾؛ وبما أن هناك وثائق، لم تكن متاحة لنولدكه، تثبت أن ملكا اسمه جفنة كان يتولى أمور الغساسنة ما بين أواخر ثمانينيات القرن السادس وأوائل

تسعينياته⁽¹³⁰⁾، فإن حكم الحارث الأصغر لم يبدأ قبل أوائل التسعينيات تلك. أما النعمان وعمرو فقد توليا الحكم بالتتابع بعد أبيهما مباشرة. ومع أنه يتعذر تحديد فترة حكم كل منهما، فيمكن القول باطمئنان، اعتمادا على معلومة مهمة ترد في شعر النابغة الذبياني⁽¹³¹⁾، إن عمرا كان مملكا في أواسط العقد الأول من القرن السابع للميلاد؛ ومن المرجح أن حكمه امتد حتى الاجتياح الفارسي لسوريا في سنة 613م⁽¹³²⁾، وذلك لأن له شهرة واسعة في المصادر لا تتحقق للحاكم في الأحوال الطبيعية إلا إذا طالت سنوات حكمه.

هذه المعلومات عن كل من النعمان وعمرو حرية بأن تلغي احتمال أن يكون أي منهما صاحب لقب "محرق". فالنعمان، قبل كل شيء، يكنى "أبا حجر"، كما ورد في شعر النابغة⁽¹³³⁾، في حين أن محرقا كان يكنى "أبا قابوس"، كما ظهر أعلاه. والنعمان أيضا لم يعقب ملوكا، كما تشير الأدلة. وربما كان حجر المذكور في شعر حسان بن ثابت⁽¹³⁴⁾ هو ابنه الذي يكنى به، وربما كان أخاه، لكن حسانا، على أية حال، إنما يذكره بوصفه ملكا يحكم مع "عمرو" من "جبل الثلج إلى جانبي أيلة"؛ وهذه الإشارة ينبغي أن تفهم على أن حجرا، مهما كان نسبه، إنما كان يحكم تابعا لعمرو (بن الحارث). وقد يضاف إلى ذلك أن اسمي "النعمان" و"محرق" وردا معا في شعر عدد من الشعراء الإسلاميين، مثل الفرزدق⁽¹³⁵⁾ وجريير⁽¹³⁶⁾، والعديل ابن الفرخ⁽¹³⁷⁾، في صياغة تدل على أنهما متغايران.

وعمر هو الآخر ذو كنية تختلف، إذ يمكن الاستنتاج من رواية للميمني⁽¹³⁸⁾ وشعر لعبيد بن الأبرص (Lyall 25: 4- 5) أن كنيته كانت "أبا كرب". وهو لم يعقب ملوكا أيضا. وإذا كان الاجتياح الفارسي لسوريا قد وضع حدا لحكمه وغيب مملكة الغساسنة نحو عقد من الزمان، فإن هذه المملكة، حين عادت من جديد⁽¹⁴⁰⁾، تولاهها ملوك لا ينحدرون من صلبه، كما يبدو. ومهما يكن من أمر، فإن الشعر الذي ظهرت فيه عبارة "أل محرق" يعود على الأرجح إلى فترة أقدم. فقط، هناك إشارة في شعر الضبيين أعلاه قد تحمل، للوهلة الأولى، على الظن بأن محرقا هو عمرو بن الحارث؛ وهي قول ربيعة بن مقروم الضبي:

ويوم تخمط الملك ابن عمرو ويوم تخمط الملك ابن عمرو

فالذي قتله الضبيون، كما يرد في أشعارهم، هو أحد أبناء محرق. فإذا كان ربيعة بن مقروم يشير، هنا، إلى هذا المقتول، فلا بد أن يكون محرق هو عمرو بن الحارث. لكن ربيعة ربما يشير إلى حادثة أخرى قتل فيها أحد أبناء عمرو بن الحارث، أو أنه يشير، وهو الأرجح، إلى أحد أبناء محرق، فينسبه إلى جده بدلا من أبيه كما يحدث كثيرا في المرويات الجاهلية، أو لضرورة الشعر.

وفي مقابل عدم احتمال أن يكون محرق هو النعمان بن الحارث أو أخاه عمرا، فإن الأدلة تشير بقوة إلى أنه أبوهما، الحارث الأصغر. فالفرزدق، في شعره المقتبس أعلاه، يذكر في موطن أن ابن محرق أسبغ على بني دارم ثيابا ملوكية ورثها عن أبيه، ويذكر في موطن آخر أن النعمان أسبغ على بني بهدلة، من بني سعد، بُردا من برود محرق. وسواء كان الفرزدق يستحضر مناسبة واحدة تم فيها الإنعام على سادة قبائل، منهم دارميون وسعديون، بنوافل من تركة محرق أو مناسبتين مختلفتين، فمن الواضح من شعره أن النعمان ابن لمحرق. فإذا كان النعمان هذا، كما مر أنفا، هو النعمان بن الحارث الغساني، فإن محرقا، إذن، هو أبوه، الحارث الأصغر.

ومن الجمع بين شعر للنابغة وآخر للممزق العبدى، يمكن أن يظهر دليل شبه مباشر على أن محرقا هو الحارث الأصغر. فالنابغة، في رثائه للنعمان بن الحارث الأصغر⁽¹⁴¹⁾، يستحضر غزوات هذا الأخير لقبائل ربيعة وتميم في شرقي الجزيرة العربية؛ والممزق العبدى، من جانبه، في شعره المقتبس أعلاه، يقف في حضرة من يدعوه "ابن محرق" معلنا الولاء له والطاعة، وطالبا منه أن يصدر أوامره لقائد جيشه بالعدول عن غزو قومه من عبد القيس. فإذا كان النابغة والممزق يخاطبان ملكا غسانيا واحدا، فلا بد أن يكون محرق، إذن، هو الحارث الأصغر.

وهناك دليل شبه مباشر آخر، يمكن أن يلتصق في قصيدة للنابغة الديباني ينشدها بين يدي من يدعوه "ابن محرق"، إذ يقول، في رواية للمدائني ينقلها الإصفهاني⁽¹⁴²⁾:

إلى ابن مُحَرَّقٍ	أعملتُ نفسي	وراحلتي	وقد هدأت	عيونُ
أتيتك	عارياً	خلقاُ	ثيابي	على خوفٍ
فألفيتُ	الأمانةَ	لم	تخنها	كذلك
				كان
				نوحُ
				لا
				يخونُ

فقصائد النابغة في ملوك الغساسنة، وعددها تسع عشرة قصيدة، تكاد تقتصر على النعمان بن الحارث وأخيه عمرو⁽¹⁴³⁾. صحيح أنه اتصل بأبيهما الحارث أيضا، وهو ما صرح به في شعره، وقال فيه القصيدة رقم 34 في ديوانه، وربما أيضا القصيدة رقم 15، لكن سائر قصائده تلك قيلت في النعمان وعمرو، وأكثرها في هذا الأخير. والمزاج السائد في القصيدة النونية، أعلاه، يجعلها أقرب إلى قصائده في عمرو؛ وهي قصائد تمثل المرحلة التي أصلح فيها بنو يربوع بن غيظ، قوم النابغة، خلافاتهم مع سادة ذبيان وعادوا، من ثم، إلى منازل قبيلتهم بعد بضعة أعوام قضوها لاجئين في بني عذرة⁽¹⁴⁴⁾. فهذه القصائد تشف عن ملامح جفاء بينه وبين الغساسنة، تظهر أحيانا وتتوارى أخرى، تعبيرا عن علاقة الديبانيين المتردية معهم.

أما تعليق الجاحظ على البيت الثالث من الأبيات السابقة بأنه "من منحول شعر النابغة"⁽¹⁴⁵⁾ فينبغي ألا يؤثر في هذا الدليل. فالجاحظ يقيم حجته على أساس جدلي، إذ من غير المحتمل، من

وجهة نظره، أن يضرب النابغة، وهو واحد من فحول الشعر، المثل بأمر طبيعي لا نقاش فيه كترفع نوح عن الخيانة. لكن هذه الحجة غير مقنعة، لأن غاية النابغة ليست ضرب المثل بقدر ما هي خلع صفة الأنبياء على الملك الغساني. ومهما يكن من أمر، فحكم الجاحظ يقتصر على هذا البيت، دون سائر القصيدة.

ويمكن أن يضاف إلى الأدلة الثلاثة السابقة دليل رابع يرد في شعر منسوب إلى يزيد بن عبد المدان الحارثي، ومذكور أنفا. ففي موطن من هذا الشعر، يذكر يزيد تبعية بني عامر بن صعصعة لملوك الغساسنة، مشيرا إلى الإتاوة التي كانوا يؤدونها لمحرق ثم أصبحوا يؤدونها للنعمان؛ ثم في موطن آخر، يحذر ملكا يدعوه "الحارث الجفني" من نفاق بني عامر وغدرهم، كاشفا بذلك عن علاقة هؤلاء الوطيدة بالغساسنة. وسواء أكان هذا الحارث الجفني محرقا نفسه، أم واحدا من أبنائه أو أحفاده تولى مسؤولية الإشراف على القبائل في عهد ابنه النعمان وعمرو، فمن الواضح من الإشارة المباشرة إلى تولي النعمان الحكم بعد محرق أن هذا الأخير هو الحارث الأصغر. وعلى هذا الأساس، يمثل شعر يزيد أقوى دليل على الهوية الحقيقية لمحرق؛ لكن الأخباريين طمسوا معالم هذا الدليل حين قالوا إن النعمان في ذلك الشعر هو ملك الحيرة النعمان بن المنذر.

وأخيرا، من الجدير بالملاحظة أن عبارة "آل محرق" تناسب الحارث الأصغر تماما. فهو وأولاده وأحفاده هم الذين حكموا مملكة الغساسنة وأداروا علاقاتها مع البيزنطيين والقبائل طوال عقدين من الزمان أو أكثر-- من العقد الأخير من القرن السادس للميلاد إلى منتصف العقد الثاني من القرن السابع، في الأقل. وقد حفظ الشعر أسماء ثمانية ملوك وامراء من نسله، هم قابوس والنعمان وعمرو والمنذر وحجر والحارث وعامر وعمران، ولا شك في أن الأسماء التي لم تصل إلينا عن طريق الشعر أكثر من تلك التي وصلت؛ ومن الطبيعي أن نعتقد أن من حكموا بعده من أبنائه كان يسندون كثيرا من مهامهم ووظائفهم إلى أبناء وإخوة لهم. وهكذا، يمكن أن نتصور كيف تصدق عبارة "آل محرق" على نسل الحارث الأصغر، فعلا.

وفيما يتعلق بنسب الحارث الأصغر، يرى نولدكه⁽¹⁴⁶⁾ أنه ابن للحارث الأكبر بن جبلة، الذي انتهى حكمه في سنة 568م، لكن من غير أن يقدم دليلا على ذلك سوى ما جاء في شعر النابغة من إشارة تنسب ممدوحه النعمان الغساني إلى الحارث الأصغر، وقبله، إلى الحارث الأكبر. لكن هذه الإشارة ليست كافية، إذ لا تعني بالضرورة أن الحارث الأكبر هو الجد الأول للنعمان: ربما كان جده الثاني وليس الأول، وهو الصحيح، كما يبدو. فحاتم الطائي⁽¹⁴⁷⁾، وقد نشط عشية الإسلام، يبعث بقصيدة إلى ملك غساني يسميه "الحارث بن عمرو"؛ والمصادر، من جهة ثانية، تروي أحداثا قريبة من ظهور الإسلام، يبرز فيها ملك غساني اسمه الحارث منسوباً إلى أبي شمر أحيانا، وإلى عمرو أحيانا أخرى؛ وابن حزم⁽¹⁴⁸⁾، من جهة ثالثة، يعدد أسماء أبناء الحارث بن

جبله، فيجعل منهم ملكا اسمه "أبو شمر"؛ ومن مصدر آخر⁽¹⁴⁹⁾ نعرف أن النعمان الغساني، ممدوح النابغة، هو ابن الحارث ابن أبي شمر. يضاف إلى ذلك كله أن تولي النعمان بن المنذر بن الحارث ابن جبله حكم الغساسنة في وقت مبكر من ثمانينيات القرن السادس كان يعني قدوم فترة في تاريخ آل جفنة انتقل فيها حكم هؤلاء من أبناء الحارث ابن جبله إلى أحفاده. وهذه الحقائق مجتمعة توفر أساسا قويا للاعتقاد بأن الحارث الأصغر هو حفيد للحارث الأكبر، وأن اسمه الحارث الأصغر بن عمرو أبي شمر بن الحارث الأكبر بن جبله.

وهكذا، أصبح واضحا الآن أن "محرقا" هو الملك الغساني الحارث الأصغر، الذي حكم عشية الإسلام، وأن هذا الحارث الأصغر هو، على الأرجح، الحارث بن عمرو أبي شمر بن الحارث الأكبر بن جبله. وهذا النسب يعيدنا إلى الرواية التي تقول إن "محرقا" لقب أطلق على أول ملوك آل جفنة في الشام، وهو الحارث بن عمرو بن جفنة بن عمرو بن عامر مزيقياء. فهذه الرواية تشتمل على بعض الحقيقة، من جانب، وتعبر عن فهم لاحق، من جانب آخر. أي أن الرواية، بسبب ظهور لقب "محرق" في الشعر الجاهلي مسبوقة بكلمة "آل"، فهموا أن صاحب هذا اللقب هو الحارث بن عمرو مؤسس العائلة الغسانية المالكة، وليس الحارث بن عمرو، أحد الملوك المتأخرين من آل جفنة⁽¹⁵⁰⁾.

هذه النتيجة، في حين تتطلب إجراء مراجعة للأحكام المتعلقة بالجوانب القبلية في تاريخ الملوك المتأخرين من اللخمين والغساسنة على حد سواء، فإنها تحتم إعادة النظر في الارتباط السياسي لكثير من القصائد الجاهلية.

"Muharriq": From Historians' Interpretations to Poetic Renderings

Irsan Ramini, *Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This article questions the common belief that the royal nickname "muharriq", which widely occurs in pre-Islamic poems, was used for different kings from different royal Arab families. It argues that as far as poetry is concerned, "muharriq" belonged to one and sole king, and that this king was the Ghassanid al-Harith the junior (al-asghar), who ruled towards the end of the sixth century. To prove this assumption, the article first

examines the poetic materials where muharriq appears in a context that may encourage readers to identify him as a Lakhmid king. It, then, examines the rest of poetic materials where commentators identify muharriq as a Lakhmid king but on no basis whatsoever. In both cases, the examination illustrates that muharriq was not possibly a Lakhmid but a Ghassanid king. Subsequently, the article clarifies the very identity of this Ghassanid muharriq and concludes that he is al-Harith alAsghar b. 'Amr Abi Shamir b. al-Harith al-Akbar b. Jabala. In view of this conclusion, the political connection of many pre-Islamic poems is to be reconsidered, let alone long standing concepts of the tribes' relations with both Lakhmid and Ghassanid kingdoms in the last phases of their history.

وقبل في 2008/4/10

قدم البحث للنشر في 2007/12/23

الهوامش

- 1- انظر راميني، "عمرو بن هند في الشعر الجاهلي"، حيث يثبت الباحث أن عمرو ابن هند هذا ليس ابن المنذر بن ماء السماء، بل اسما لملكين، أحدهما لخمى والآخر غساني، نشطا في أواخر القرن السادس وأوائل السابع.
- 2- ابن حمدون 7: 391.
- 3- ابن منظور، "حرق".
- 4- 2: 334.
- 5- "جفنة الأكبر بن النعمان الأكبر بن الحارث بن مارية، وهو المعروف بـ "محرق"، وهو الذي أحرق الحيرة وبه سموا "آل محرق" (1: 22). أصل الرواية في الطبري (1: 1021) مسندة إلى أبي عبيدة لكن دون ذكر لقب "محرق".
- 6- مقتبسة في Olinder 73.
- 7- حول هذا النقش، انظر علي، جواد 3: 189-194.
- 8- Ryckmans 275ff.
- 9- مقتبس في Shahid, *Byzantium* 554, 557.
- 10- أبو البقاء 1: 115.
- 11- ابن منظور "حرق".

- 12- طبري 1: 1021.
- 13- 5- 6.
- 14- 46f.
- 15- مفضليات 3: 212.
- 16- 3: 188.
- 17- في الواقع، يرى Wellhausen، في تفسير تصوري، أن محرقا اسم لصنم في مكان يدعى "سلمان" في الصحراء العراقية، كانت تتعبد له قبائل ربعية، وأن اللقب، على هذا الأساس، قد يكون لملك درج على التقرب لذلك الصنم بذبح القرابين، فسمي "محرقا" لهذا السبب، لأنه لو كان للأمر صلة بالنار والإحراق لجاء اللقب مقترنا بـ "أل" التعريف (مقتبس في علي، جواد 3: 189).
- 18- أوس بن حجر ق22: 2.
- 19- لباب الآداب 114.
- 20- مثلا: ابن قتيبة، معارف 146؛ أبو البقاء 1: 116.
- 21- مثلا: Massignon, "Mission en Mesopotamie;" Basete, "Les Alixares de Grenade et le Chateau de Khawarnaq;" Meissner, "Eine Reise von Babylon nach den Ruinen von Hira und Huarnaq."
- 22- حموي، "الخورنق".
- 23- ق 33: 14.
- 24- "أنقرة".
- 25- 86.
- 26- 11.
- 27- ورد ذلك في ص 238 س4 من كتابه.
- 28- مدخل "خورنق"
- 29- ق 34: 33.
- 30- انظر حموي "أنقرة".
- 31- ق 26ب: 8- 9.
- 32- مثلا: ابن سلام، 1: 124؛ إصفهاني 5: 6.

33- Rothstien, *Lahmiden*.

34- 3: 178. في مقال عنه في الموسوعة الإسلامية، لا يشك Arazi في أن هذه هي الرواية الصحيحة.

35- حول هذه الأرقام ومناقشتها، انظر Nallino 167-73

36- سجستاني 75، 31، على التوالي.

37- أصبهاني، تاريخ أصبهان 73. تقدير الأصمعي، حسب Nallino (8-167) هو 230 سنة، لكن Nallino لا يشير إلى مصدره.

38- قارن الجعدي ق93: 2.

39- 172.

40- *El. "al-Nabigha al-Ja'di"*

41- لعل المنذر هذا هو من بعث إليه النبي أحد رسله يدعو إلى الإسلام في رواية ابن إسحق عبر الطبري (1: 1568) "قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب، أخا بني أسد بن خزيمة إلى المنذر ابن الحارث بن أبي شمر الغساني، صاحب دمشق."

42- ق26ب: 12- 14.

43- انظر راميني، ارتباط (304- 306) حيث نوقشت ورفضت الرواية الخاصة بتعاون بني عامر مع النعمان بن المنذر لحماية طريق القوافل بين الحيرة ومكة، وهي الرواية التي تذكر في مقدمات الحديث عن حرب الفجار.

44- ق26ب: 77- 78.

45- رقم 58.

46- انظرها، مثلاً، في ابن عبد ربه 2: 263.

47- زيدي، "أكل"

48- بصري 1: 369.

49- شعر 1: 399.

50- أصمعي 165 هامش 9.

51- حموي، "جو".

52- ق 11: 17.

53- ابن الكلبي 2: 3.

- 54- ق 77: 1- 7.
- 55- راميني، ارتباط.
- 56- ق 22: 11- 15.
- 57- بيت 63.
- 58- أنباري 44: 8.
- 59- السابق 9: 40.
- 60- حموي، "الوريقة".
- 61- أنباري، ق 12.
- 62- قارن ابن رشيّق 967، حيث يرى أن الدروع "تنسب إلى فرعون... وداود وسليمان وتبع ومحرق، يريدون بها القدم وجودة الصنعة."
- 63- ق: 9، 26.
- 64- ق 3: 43.
- 65- 19: 26
- 66- 2: 53.
- 67- *EI*, "Zuhayr b. Djanab"
- 68- سجستاني 31.
- 69- إصفهاني 19: 17.
- 70- أعلاه، هامش 8.
- 71- *EI*, "Zuhayr b. Djanab".
- 72- 4: 481 يوردها البكري (معجم، "الطائف") منسوبة إلى الأجنس بن مرداس، ويورد بعدها لكنانة مقطوعة أخرى؛ وكلا الشاعرين من ثقيف.
- 73- راميني، ارتباط.
- 74- رقم 7735.
- 75- رقم 549.
- 76- إصفهاني 12: 9- 15.

159. -77
- 78-10: 40.
- 79-12: 14-15.
- 80- انظر: Ramini, *Origins* ch. 2; Shahid 154ff.
- 81- راميني، ارتباط.
- 82- معيني 131.
- 83- لفك هذه الرموز في ظل شعر المخبل، انظر راميني، حلقة مفقودة 63-8؛ Kister, Campaign 432ff.
- 84- ابن معصوم، أنوار 4: 324.
- 85- ق 459: 27.
- 86- ق 3: 43.
- 87- Ramini, *Origins* 41- 42, 45
- 88- ق 2: 27-28.
- 89- ق 371: 4-9.
- 90- Rothstein 119f.
- 91- ابن أعثم 48. ولهذا السبب يختم ابن الكلبي قائمته الخاصة بملوك الحيرة باسم المنذر بن النعمان (طبري 1: 1039).
- 92- ق 4: 12.
- 93- مع عدم استثناء كندة، التي مزقتها النزاعات الداخلية بعد انتقالها من البحرين إلى اليمن في أواخر القرن السادس للميلاد (6-334 Lecker, Kinda).
- 94- ق 4: 12-16.
- 95- 1: 86.
- 96- 5: 212.
- 97- 22: 86.
- 98- 1: 542.

- 91-99.
- 100- ق25: 1.
- 101- جاحظ، بيان 1: 180.
- 102- حموي "الرئيس".
- 103- ق 10: 5- 6.
- 104- راميني، حجر.
- 105- يذكر حاتم الطائي، متحسرا، مقتل من يسميه "ابن مسعود" في مكان يدعوه "المعزاء" (ق 63)؛ فإذا كان حاتم يقصد عمرو بن مسعود نفسه، ففي هذه الإشارة دليل آخر على الصلة الغسانية للحادثة، نظرا لعلاقة قوم حاتم المتردية بالغساسنة (انظر راميني، ارتباط).
- 106- نقائض 66، 9-298.
- 107- Ramini, *Origins* 42ff
- 108- Rothstein 113
- 109- 918.
- 110- السابق.
- 111- ق 28: 58.
- 112- ق 47: 31.
- 113- ق 48: 54.
- 114- Ramini, *Early composition* 870
- 115- راميني، ارتباط.
- 116- بلاذري 830.
- 117- بلاذري 832. وهو غير اليوم الذي انتصر فيه خالد بن الوليد على مرتدي أسد وغطفان والذي يحمل الاسم نفسه.
- 118- ق 456: 38- 39.
- 119- جاحظ، بيان 3: 21.
- 120- ق16: 40.

- 121- 1: 539.
- 122- مفضليات 116: 11- 15.
- 123- مدخل 6334
- 124- ق 40: 31.
- 125- جمال 187.
- 126- ابن عبد ربه 5: 195.
- 127- قد يضاف إلى هذه القبائل الأخيرة بنو الغوث الطائيين، قوم حاتم الطائي (انظر راميني، ارتباط.
- 128- 39. *Ramini, Origins*
- 129- اعتمادا على ما توصل إليه نولدكه (43) من أن النعمان بن الحارث الأصغر، الذي خلف أباه على الغساسنة، حكم في العقد الأول من القرن السابع.
- 130- 554-7. *Shahid, Byzantium*
- 131- راميني، نابغة 144-5.
- 132- ربما إلى ذلك يلمح حسان بن ثابت حين يذكر مقتل "عمرو وحجر" في البيت 8 من القصيدة 73.
- 133- ق 22: 23.
- 134- ق 153: 8.
- 135- ق 459: 27.
- 136- ق 48: 54.
- 137- ابن المبارك ق 367: 25.
- 138- 91.
- 139- ق 25: 4-5.
- 140- يرى نولدكه، في المقابل، أن مملكة الغساسنة كانت قد تلاشت أو تفككت عراها بعد الاجتياح الفارسي لسوريا؛ لكن هناك ما يدعو إلى التحفظ حول هذا الرأي، إذ بعث النبي عليه السلام رسولا إلى "المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني، صاحب دمشق" (انظر أعلاه، هامش 41)، وظهر الغساسنة أيام الفتح الإسلامي قوة كبيرة تقاوت إلى جانب الروم تحت راية جيلة بن الأيهم (انظر الطبري، مستعينا بالفهارس)

141- ق 22: 11- 15.

142- 11: 22. رواية البيت الأول في الديوان (ق 75: 30) تختلف، إذ تجري على هذا النحو: "تأوبني ببيعمة اللواتي منعن النوم إذ هدأت عيون"؛ وتبدو لغتها غير مقنعة وصلتها بما بعدها ضعيفة. أضف إلى ذلك أن القصيدة في الديوان تقدم على أنها في النعمان بن المنذر اللخمي.

143- راميني، نابغة 7-146.

144- راميني، نابغة 6-135.

145- حيوان 2: 246.

146- 38.

147- جمال 185.

148- 372.

149- ابن منظور، "حجر".

150- فإذا كان ما يقال، في إطار الرواية السابقة، من أن الحارث بن عمرو هو "أول من حرق العرب في ديارهم (ابن منظور "حرق") ليس إضافة لاحقة، فإنه يعني نفي لقب "محرق" عن أي ملك آخر من ملوك العرب قبل الإسلام، غير الحارث بن عمرو الذي حكم في نهاية القرن السادس للميلاد.

الأعمال المقتبسة

العربية

الأسود بن يعفر. (1970). الديوان. تحقيق نوري حمودي القيسي. بغداد: مديرية الثقافة العامة.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله. (1931). تاريخ أصبهان. تحقيق سلف ديدرنج. ليدن: بريل.

الإصفهاني. أبو الفرج علي بن الحسين. (1974). الأغاني. القاهرة: دار إحياء التراث العربي.

الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب. (1955). الأصمعيات. تحقيق أحمد شاکر وعبد السلام هارون. بيروت: د ن.

- الأعشى، ميمون بن قيس. (1983). الديوان. تحقيق محمد محمد حسين. ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة..
- ابن أعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي. (1968-1975). كتاب الفتوح. حيدرآباد: دائرة المعارف.
- امرؤ القيس بن حجر. (1984). الديوان. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف.
- الأنباري، أبو محمد القاسم بن محمد. (1920). المفضليات. تحقيق تشارلز ليال. بيروت: مطبعة الآباء اليسوعية.
- أوس بن حجر التميمي. (1967). الديوان. ط2. تحقيق محمد يوسف نجم. بيروت: دار صادر.
- البصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج. (1999). الحماسة البصرية. تحقيق عادل سليمان. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- أبو البقاء، هبة الله الحلبي. (2000). المناقب المزيديّة في أخبار الملوك الأسديّة. تحقيق صالح درادكة ومحمد خريسات. عمان: مكتبة الرسالة الحديثة.
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز. (1951). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد. (1997). لباب الآداب. تحقيق أحمد حسن بسج. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (1985). البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (1969). الحيوان. تحقيق عبد السلام هارون. ط3. بيروت: المجمع العلمي العربي الإسلامي.
- جرير بن عطية. (1996). الديوان. تحقيق نعمان طه. القاهرة: دار المعارف.
- جمال، عادل سليمان. (1990). ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره. ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي.

- الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلام. (1974). **طبقات فحول الشعراء**. تحقيق محمود محمد شاكر. القاهرة: مطبعة المدني.
- الحارث بن حلزة اليشكري. (1991). **الديوان**. تحقيق إميل يعقوب. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن حجر، أحمد بن علي. (2002). **الإصابة في تمييز الصحابة**. اعتناء حسان عبد المنان. عمان: بيت الأفكار الدولية.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد. (1982). **جمهرة أنساب العرب**. تحقيق عبد السلام هارون. ط5. القاهرة: دار المعارف.
- حسان بن ثابت. (1971). **الديوان**. تحقيق وليد عرفات. كيمبرج: أمناء سلسلة جب التذكارية.
- ابن حمدون، محمد بن حسن. (1996). **التذكرة الحمدونية**. تحقيق إحسان عباس وبكر عباس. بيروت دار صادر.
- الحموي، ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله. (1957). **معجم البلدان**. بيروت: دار صادر.
- الخالديان، أبو بكر محمد بن هاشم وأبو عثمان، سعيد بن هاشم. (1965). **الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين**. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله. (1967). **المسالك والممالك**. ليدن: بريل.
- الخرزجي، علي بن الحسين. (1911). **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**. تصحيح وتنقيح محمد عسل. القاهرة: مطبعة الهلال.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (1981). **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**. بيروت: دار الفكر.
- دعبل الخزاعي. (1997). **وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان ابن هود**. تحقيق نزار أباطة. بيروت: دار صادر.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن محمد. (1985). **سير أعلام النبلاء**. ج3. تحقيق العرقسوسي وصاغرجي. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي. (1993). **الديوان**. تحقيق عبد القدوس أبو صالح. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الراميني، عرسان حسين. "الارتباط السياسي لشعر بشر بن أبي خازم الأسدي". "دراسات"، الجامعة الأردنية. 36: 2: 298-318.

الراميني، عرسان حسين. "حجر بن أم قطام: قراءة تاريخية في ديوان عبيد ابن الأبرص". مرسل للنشر في "المجلة العربية للعلوم الإنسانية".

الراميني، عرسان حسين. (1999). "حلقة مفقودة في تاريخ مملكة كندة". المنارة. 4: 1: 53-77.

الراميني، عرسان حسين. (2004). "الناطقة الديباني: في علاقته بالخميين وشعره في الغساسنة". المجلة العربية للعلوم الإنسانية 85: 125-161.

ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. (2000). العمدة في صناعة الشعر ونقده. تحقيق النبوي شعلان. القاهرة: مكتبة الخانجي.

زبيدي، مرتضى أبو الفيض محمد. (1986). تاج العروس من جواهر القاموس. الكويت: وزارة الإعلام.

زهير بن أبي سلمى. (-199). الديوان. تحقيق عمر فاروق الطباع. بيروت: دار الأرقم.

السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد. (1961). المعمرن والوصايا. تحقيق عبد المنعم عامر. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

الطبري، محمد بن جرير. (1879-1901). تاريخ الرسل والملوك. تحقيق دي غوي وآخرين. ليدن: بريل.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله. (1960). الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق علي البجاوي. القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد. (1983). العقد الفريد. ط2. تحقيق أحمد أمين وآخرين. بيروت: دار الكتاب العربي.

عدي بن زيد العبادي. (1965). الديوان. تحقيق محمد المعبيد. بغداد: دار الجمهورية.

علي، جواد. (1976). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. بيروت وبغداد: دار العلم للملايين ومكتبة النهضة.

- الفرزدق، همام بن غالب التميمي. (1992). **الديوان**. تحقيق مجيد طراد. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. (1966). **الشعر والشعراء**. تحقيق أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار المعارف.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. (1960). **المعارف**. تحقيق ثروت عكاشة. القاهرة: مطبعة دار الكتب.
- ابن الكلبي، هشام بن محمد. (-198). **نسب معد واليمن الكبير**. تحقيق محمود العظم ورياض مراد. دمشق: دار اليقظة العربية.
- العامري، ليبد بن ربيعة. (1993). **الديوان**. تحقيق حنا الحتي. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن المبارك، محمد بن المبارك. (1999). **منتهى الطلب من أشعار العرب**. تحقيق محمد طريفي. بيروت: دار صادر.
- المتلمس، جرير بن عبد العزى الضبيعي. (1970). **الديوان**. تحقيق حسن الصيرفي. القاهرة: معهد المخطوطات العربية.
- ابن معصوم، صدر الدين علي بن أحمد المدني. (1968). **أنوار الربيع في أنواع البديع**. النجف: مطبعة النعمان.
- المعيني، عبد الحميد محمود. (1982). **شعر بني تميم في العصر الجاهلي**. بريدة: نادي القصيم الأدبي.
- ابن منظور. جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم. (1968). **لسان العرب**. بيروت: دار صادر.
- الميمني، عبد العزيز. (1936). **سمط اللآلئ (معه إضافة "الذيل")**. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- النابغة الجعدي. (1998). **الديوان**. تحقيق واضح الصمد. بيروت: دار صادر.
- النابغة الذبياني. (1985). **الديوان**. ط2. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف.

نولدكه، تيودور. (1933). *أمرء غسان من آل جفنة*. ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريق. بيروت: المطبعة الكاثوليكية.

ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبد الملك. (2001). *السيرة النبوية*. تحقيق مصطفى السقا وآخرين. بيروت: المكتبة العلمية.

الأجنبية

Basset, R. (1906). "Les Alixaes de Grenade et le Chateau de Khawarnaq". *Revue Africaine*, cclx,

The Encyclopaedia of Islam (EI). New ed. Leiden and London, (1960-).

Kister, M. J. (1965). The Campaign of Huluban: a new light on the expedition of Abraha. *Le Museon (Revue D'etudes Orientals Tijdschrift Voor Orientalisme)*, (78): 425-436.

Lecker, M. (1994). "Kinda on the eve of Islam and during the Ridda". *Journal of the Royal Asiatic Society*, 4 iii: 333-356.

Lyall, Ch. (1913). *The Diwans of 'Abid Ibn al-Abras, of Asad, and 'Amir Ibn at-Tufail, of 'Amir Ibn Sa'sa'ah*. Leyden: Brill.

Massignon, L. (1910). "Mission en Mesopotamie". *MIFAO* xxviii: 36-7.

Meissner, B. (1901). "Eine Reise von Babylon nach den Ruinen von Hira und Huarnaq". *Syndschriften der Deutschen Orient-Gesellschaft*, no. 2, 19.

Nallino, C.A. (1934). "Al-Nabighah al-Ga'di e le sue poesi". *Rivista degli studi orientali*, 14: 135-190.

Olinder, G. (1927). "The Kings of Kinda". *Lunds UniversitetsArsskrift*, 23.

Ramini, I.H. (1989). *The Tribe of Tamim and the Origins of the Early Crisis in the Caliphate*. Ph.D. thesis. Cambridge University.

Ramini, I.H. (2001). "The Early composition of the Muslim army at Basra". *Dirasat*. 28: supplement: 869- 872.

Rothstien, G. (1899). *Die Dynastie der Lahmidin in al-Hira: Ein Versuch zur arabisch-persischen Geschichte zur Zeit der Sasaniden*. Berlin: Reuther u. Reichard,.

Ryckmans, G. (1953). "Inscriptions sud-Arabes". *Le Museon (Revue D'etudes Orientals Tijdschrift Voor Orientalisme)* 66: 163-187.

Shahid, I. (1989). *Byzantium and the Arabs in the sixth century*. Washington, D.C.: Dumbarton Oaks Research Library and Collection,.

